الفصل الثالث

طبيعة الثقافة الإسلامية

osoeikandi.com

الفصل الثالث
طبيعة الثقافة الإسلامية

المقدمة :

يستهدف هذا الفصل الحديث عن طبيعة مادة الثقافة الإسلامية باعتبارها منهجاً متكاملاً يلبي حاجات الفرد والمجتمع.

والحديث عن طبيعة هذه المادة يواكب ما تدعو إليه المدارس التربوية الحديثة من وجوب تناول طبيعة المادة عند بناء المناهج أو تطويرها،حتى يتم الوقوف على آخر التطورات والمستجدات التي طرأت على المادة المراد تدريسها،هذا إلى جانب أن تناول هذه المادة بشمولية فيه رد على من يحاول أن يعزل هذه المادة عن الحياة ، ويجعلها مقصورة على علاقة الإنسان بربه فقط ، وأنه لا علاقة لها بالجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وبناء على ذلك سيتم في هذا الفصل تناول طبيعة مادة الثقافة الإسلامية من حيث : ـ

- **ـ مفهوم الثقافة الإسلامية .**
- **ـ الأسس والمعايير التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية .**
- **ـ مصادر الثقافة الإسلامية .**
- **ـ خصائص الثقافة الإسلامية .**
- **ـ نظرة الثقافة الإسلامية للإنسان والكون والحياة .**

مفهوم الثقافة الإسلامية : ـ

سبق تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً بشكل عام وبطريقة مختصرة في الفصل الأول من الدراسة ، ونظراً لأهمية هذا المصطلح كان لزاماً على الباحث التوسع في تعريفه ، ونظراً لما للثقافة من أهمية فقد تعددت تعريفاتها ومفاهيمها ، ولاقت تركيزاً شديداً من قبل دارسي علم الاجتماع والانثربولوجيا والتربية ، حتى إن أحد الباحثين أشار إلى أن هناك أكثر من مائة وستين تعريفاً للثقافة والمفاهيم المرتبطة بها (١) .

ومن الملاحظ أن تعريفات هؤلاء تختلف وتتباين ، وقلما تتفق ، وهذا الاختلاف ناتج عن تعدد مصادر وأيدلوجيات المهتمين ، فكل واحد منهم ينظر لها من الزاوية التي تتفق مع فكره ومعتقده .

وقد لقيت الثقافة الإسلامية عناية واهتماماً من قبل العديد من المهتمين و البا حثين،فجاءت تعاريفهم متقاربة جداً، وذلك نتيجة لانطلاقها من قاعدة أساسية هي إ فراد الله بالعبادة،وهذا يعني اتخاذه وحده إلهاً وأن لا معبود بحق سواه عزوجل ، ومن ثم إفراده بالحاكمية ، وهذا يعني تحكيم منهج وشرع الله في كل مجالات الحياة .

وانطلاقاً من هذه القاعدة توصل أحد المهتمين في هذا المجال (٢) إلى تقسيم للثقافة في التصور الإسلامي ، فتم تقسيمها إلى شقين هما : ـ

---

(١) محمد أحمد بيومي ، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٢) علي أحمد مدكور ، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

١) **الشق المعياري** : ويتمثل في شريعة الله المتضمنة في الكتاب والسنة ، وشريعة الله تعني كل جوانب الحياة المختلفة بما فيها نظرة الإنسان لنفسه وللكون والحياة بشكل عام،وما فيها من جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية ، وحصرها أحد الباحثين في أربعة جوانب أساسية هي : ـ

أ) أصول الاعتقاد : كتصور حقيقة الألوهية ، وحقيقة الكون غيبه وشهوده ، وحقيقة الحياة وطبيعتها ، وحقيقة الإنسان نفسه من خَلَقه .؟ وما هي نهايته .؟ مع بيان الارتباطات بين هذه الحقائق كلها ، وكيف يتعامل الإنسان معها بشكل عام .؟

ب) أصول الحكم : ويتمثل في الأوضاع السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية ، والأصول التي تقوم عليها لتمثل فيها العبودية الكاملة لله وحده ، كما تتمثل في التشريعات والقوانين التي تنظم هذه الأوضاع .

جـ) أصول الأخلاق والسلوك : وتشتمل على المعايير والقيم والموازين التي تسود المجتمع ، ويقوم بها الأشخاص وتؤدى بها الأعمال في الحياة الاجتماعية بجميع جوانبها .

د ـ أصول المعرفة : وتتمثل في طبيعة العلم وفي طبيعة النشاط الفكري والتربوي والفني والأدبي بمختلف أشكاله ومسمياته .

فما سبق يمكن أن يطلق عليه الشق المعياري للثقافة الإسلامية ، ومعنى كونه معيارياً أن كل ما سواه من التشريعات والقوانين وأنماط السلوك سواء القولي والعملي والفكري الفردي منه ، والجمعي يقاس عليه لكنه هو لا يقاس على شيء من خارج ذاته ، وسبب ذلك أن مصدره رباني ثابت لا يمكن لمخلوق مهما بلغت مرتبته العلمية والثقافية أن يأتي بمثله .

٢) **الشق التطبيقي** : أي التطبيق الواقعي والعملي في الحياة للشق المعياري بما فيه من أنماط الشعور والتفكير والأخلاق والقيم والعمل والإنتاج والعلاقات مع الآخرين،والتي تأتي تطبيقاً عملياً وواقعياً للجانب المعياري بشكله الصحيح .

وتأسيساً على ما سبق فكل القوانين والقيم والتشريعات والعادات والتقاليد التي تناقض نظم الثقافة الإسلامية،سواء في مصادرها أو في غاياتها،لا تعتبر جزءاً منها،حتى لو كانت شائعة في أوساط المجتمعات الإسلامية وتمارس بشكل عادات أو تقاليد،ولكنها في الحقيقة تعارض جوهر الثقافة الإسلامية فهي تعتبرعادات وتقاليد ونظم وقوانين جاهلية ، وتعد من العوامل التي تحُارب بها هذه الثقافة .

وبناء على العرض السابق يمكن تعريف الثقافة الإسلامية بأنها « شريعة الله الشاملة لأصول الاعتقاد وأصول الحكم ، وأصول المعرفة وأصول الأخلاق والسلوك ، وكل التشريعات والنظم والقوانين التي تخضع لها ، وجميع أشكال التطبيق العملي الواقعي ، وأنماط السلوك الفردي والجمعي التي تتسق معها نصاً وروحاً. » (١)

وعرفها باحث آخر بأنها « مجموعة المعارف والتصورات والعلوم النظرية،التي تدور في فلك الإسلام لتنبثق منها فكرة شاملة عن الكون والإنسان والحياة،والتي تؤثر على الفرد والمجتمع فتضفي

---

(١) علي أحمد مدكور ، منهج التربية أساسياته ومكوناته ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٢

عليهما طابعاً شخصياً معيناً.» (١)

ـ واهتم باحثون آخرون بتعريف الثقافة الإسلامية باعتبارها تراثاً فكرياً فيرى أحدهم (٢) أن «كلمة الثقافة الإسلامية تطلق على التراث الفكري الذي خلفته الحضارة الإسلامية في جميع جوانبه الديني والفلسفي والتشريعي واللغوي والأدبي والفني ، وهذا التراث قد انبثق من التصور الشامل الذي كونه الإسلام في المجتمع الإسلامي والذي يستمد حقيقته من القرآن الكريم الذي يمثل المصدرالأساسي والرئيسي لجميع أوجه التراث الحضاري للأمة الإسلامية» ويتفق باحث آخر مع هذا الرأي فيرى أن الثقافة الإسلامية تمتد لتشمل أربعة جوانب رئيسية هي : ـ

الدين ، الخلق ، الحياة الاجتماعية ، مجالات العلم والفن.(٣) كما عرفها باحث آخر بأنها « معرفة التحديات المعاصرة والمتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية،ومقومات الدين الإسلامي بصورة مقنعة وموجهة»(٤) .

وتعرف عند البعض باعتبارها نظرية للسلوك وواجباً اجتماعياً يجب الالتزام به،ويرى هؤلاء أنها «تتناول العقيدة والنشاط الإنساني في شتى مجالات الآداب والعلوم والفنون والعادات والأدب الشعبي وأدب الخاصة والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية كنظم الإدارة والحكم ونظم الأسرة ، ولا يخرج عن هذه الدائرة تخطيط المدن وتطوير القرى ووسائل النقل وأساليب المأكل والمشرب والزينة والزي ووسائل الترفيه النفسي والاجتماعي » (٥) .

ويرى الباحث أن تعريف الثقافة الإسلامية الذي يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة هو أنها « مجموعة التشريعات و القوانين والنظم التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي اختارها المولى عزوجل لتنظيم حياة البشر الروحية منها والمادية ، وفق إطار ومنهج رباني متكامل صالح لكل زمان ومكان » .

وبالنظرإلى مجمل التعريفات السابقة يلاحظ أنها تلتقي في عدة محاور يمكن إجمالها في الآتي: ـ

تتفق جميع التعاريف على أن الثقافة الإسلامية :

أ ـ ثقافة ربانية .

ب ـ أنها شاملة لكل جوانب الحياة .

جـ ـ أن مصادرها ثابتة لا تقبل الزيادة والنقصان .

د ـ أنها صالحة لكل زمان ومكان .

وـ أنها عالمية فهي ليست حكراً لطائفة أوفئة بعينها

هـ ـ أنها تعتبر خاتمة الأديان السماوية .

---

(١) أمير عبدالعزيز ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٩ ، ط × ، ص ١٧ .

(٢) فاروق النبهان ، مبادئ الثقافة الإسلامية ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٨٤ ، ط ١ ، ص ١٢ .

(٣) محمد الحسن الندوي ، الثقافة الإسلامية والواقع المعاصر ، القاهرة ، دار الصحوة ، ١٩٩٠ ، ط ١ ، ص ٦٠ .

(٤) محمد عبدالسلام وآخرون ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٧ ، ط٥ ، ص ١١.

(٥) نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤ ، ط ٥ ، ص ١٥ .

الأسس التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية :

تقوم الثقافة الإسلامية على العديد من الأسس التي من خلالها اكتسبت هذه الثقافة ديمومتها وبقاءها صالحة لكل زمان ومكان تتمثل فيما يلي :- (١)

١- أن تكون الحاكمية العليا في المجتمع لشريعة الله : وعندما يسود هذا المفهوم يتحرر الناس من العبودية لغير الله، فحين تكون الحاكمية العليا في المجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية، تكون هذه الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية، لأنّ حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع، ولا حرية ولا كرامة للإنسان في مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون.

ومن هنا يمكن القول أنّ الفرد أياً كان موقعه إذا أراد أن يشعر بالحرية والكرامة فعليه أن يخلص ويسلم العبودية لله وحده، ومن ثم تسليم أمر الحاكمية لله وحده، ومن خلال هذا التصور يمكن القول إنّ هذا مجتمع متحضر، أمّا المجتمع الذي تكون فيه الألوهية والعبودية لغير الله فهو مجتمع جاهلي متخلف مهما بلغت جوانب الرقي المادي لديه.

وعلي هذا فالمجتمعات التي تسمى إسلامية لكنها تحكم بغير ما أنزل الله في أمور كثيرة أو قليلة، يمكن أن يطلق عليها أنّها مجتمعات ظالمة أو عاصية أو فاسقة، ولا يطلق عليها أنّها مجتمعات كافرة إلا في حالة جحودها أو نكرانها لحكم الله معتقدة أنّ ما جاء به البشر أفضل مما جاء من عند الله قال تعالى:

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون». (٢)

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون». (٣)

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». (٤)

أمّا الذين أهملوا الحكم بما أنزل الله تكاسلاً أو تراخياً أو خوفاً، فلا يطلق عليهم كفار بل عصاة أو ظالمون، مع ملاحظة أنّ المجتمع الذي يتنكب عن هذا المنهج ويُحكّم غير شرع الله يصاب بالكثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والدليل هو ما نشاهده اليوم في الوطن العربي والعالم الإسلامي من أزمات تكاد تعصف بالشعوب نتيجة لعدم الالتزام بشرع الله وتحكيم منهجه.

وإذا أرادت الأمة المسلمة أن تغير من أوضاعها وترتفع إلى مستوى المسؤولية فما عليها إلا تصحيح المسار، وإعادة النظر في معالجتها لأغلب مجالات الحياة، خاصة ما يتعلق بالتعليم الذي يقدم في مختلف المؤسسات التعليمية، ومن أجل هذا - يرى الباحث - أنّه يجب التركيز على قاعدتين أساسيتين عند إعداد المناهج التعليمية لمختلف المراحل الدراسية وهما :-

---

(١)علي أحمد مدكور، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة، آية ٤٤.

(٣) سورة المائدة، آية ٤٥.

(٤) سورة المائدة آية ٤٧.

أ) أن يركز على الجانب العقائدي في حياة الطلبة وإحياء المفاهيم الإيمانية العقائدية، والتركيز على الجوانب الروحية والأخلاقية، والتي يمكن للجيل من خلالها مقاومة المبادئ الإلحادية التي تواجه العالم اليوم.

ب) أن يركز على الجانب التشريعي، وبيان مزايا الإسلام في التشريع في كل مجالات الحياة المختلفة، وهذا واضح من خلال اهتمام الإسلام بالفرد، وهو لا يزال في صلب أبيه وحتى بعد وفاته، واهتمامه بتنظيم حياة الأفراد والجماعات، وهذا أكبر دليل على شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ولا شك أن التركيز على هذين المبدأين يتطلب من النظام التربوي بكل مؤسساته وقطاعاته، الكثير من الجهد والوقت حتى نضمن جيلاً واعياً ومثقفاً، يدرك حجم المؤامرات التي تدار حول عقيدته وشريعته، وكيف يصمد أمام كل التحديات التي قد تواجهه.

٢) يجب أن تمثل العقيدة رابطة التجمع الأساسية في المجتمع: فالمجتمع الذي تسود فيه عقيدة واحدة وفكر واحد يكون أكثر تماسكاً وتعاوناً، وهذا واضح خاصة عند الرعيل الأول للإسلام فقد وصل الأمر بالأنصار إلى درجة الإيثار حتى إنهم تقاسموا مع المهاجرين المسكن والمشرب والمأكل، وما كان ليحصل هذا لولا الشعور برابطة العقيدة التي يستظل الجميع بظلها، فلا فرق بين أبيض وأسود وعربي وفارسي أو رومي قال عليه السلام «سلمان منا آل البيت» فكل هؤلاء مهما اختلفت ألوانهم ولغاتهم وجنسياتهم أمة واحدة، لها رب واحد وعقيدة واحدة، فقد قرّبت هذه العقيدة بلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وصهيباً الرومي من الرسول عليه السلام، وطردت أبا لهب عمه رغم حسبه ونسبه، بل نزلت فيه سورة تبين حقيقة تمرده وجزاءه قال تعالى «تبت يد أبي لهب وتب.»(١)

وما كان ليحصل هذا لولا وجود العقيدة الفيصل التي تحدد فريق الإيمان مهما قل حسبه ونسبه، وفريق الكفر مهما علا نسبه وحسبه، ولآصرة التجمع في المجتمع الإسلامي حكمة «ربانية» بالغة ومن ثم فهي «عقلية» و«علمية»، فحين تكون آصرة التجمع الأساسية في مجتمع ما هي العقيدة والتصور والفكرة ومنهج الحياة، يكون ذلك ممثلاً لأعلى ما في إنسانية الإنسان من خصائص، أما حين تكون آصرة التجمع في مجتمع ما هي الجنس واللون والقوم والأرض وغيرها من الروابط، فإن كل ذلك لا تمثل الخصائص العليا للإنسان لسببين حاسمين هما :

السبب الأول: - هو أن الإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض، لكنه لا يبقى إنساناً بعد العقيدة والفكرة وحرية الإرادة.

السبب الثاني : - أن الإنسان يملك بمحض إرادته الحرة أن يغير عقيدته وتصوره وفكره، ولا يستطيع أن يحدد مكان ولادته ووفاته ولونه وجنسه.(٢)

ومن هنا يمكن القول إن المجتمع الذي يجتمع فيه الأفراد على منهج واحد، ويجمعون في هذا المنهج على إفراد الله بالعبودية، ومن ثم إفراده بالحاكمية هو المجتمع المتحضر والمثالي.

أما المجتمع الذي يجمع أفراده على غير ذلك، فهو مجتمع جاهلي يعبد أفراده بعضهم بعض.

---

(١) سورة المسد، آية ١.

(٢) المرجع السابق.

وهنا يأتي دور مؤسسات التعليم بشكل عام، والجامعي منها بشكل خاص في بيان حقيقة هذا المبدأ من خلال المحتوى الذي يقدم للطلبة في جميع مراحلهم الدراسية، والذي ينبغي أن يراعي فيه الآتي :

أ - غرس مبدأ الأخوة بين جميع الطلبة، وتحبيب التعاون بينهم من خلال إشراكهم في الأنشطة والندوات التي تقام في المؤسسة التعليمية.

ب - التأكيد على مبدأ المساواة، وأنه لا فرق في الإسلام بين غني وفقير ورئيس ومرؤوس وقليل الحسب وعالي النسب، فالكل سواء أمام شرع الله فالكل يصلي الصلاة نفسها، ويصوم الجميع في وقت واحد، وهكذا في بقية العبادات.

جـ- إبراز صور من المساواة والإيثار، خاصة ما حصل في العهد الأول من الإسلام قال تعالى **«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»** (١).

فهذه الصورة تزرع في نفوس الجيل روح التماسك والتعاون.

د- نبذ العنصرية والقومية والطائفية والمناطقية، فهذه أمور متى دخلت المجتمع أفسدته وفرقته شيعاً وأحزاباً، وجعلته متنافراً في كل شيء، وقد يصل بهم الأمر إلى التآمر على الوطن والمجتمع.

هـ- الحث على مساعدة الآخرين، وتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد وأن يشعر الفرد أنه جزء من هذا المجتمع الذي يحتاج إلى تكاتف أبنائه وتعاونهم مع بعضهم في سبيل المصلحة العامة.

فهذه الأمور متى ما ضُمنّت في المنهج لا شك أنها تقوى آصرة المجتمع، وتقوي الروابط بين أفراده وتجعلهم كالجسد الواحد .

٣) أن تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع: وهذا يعني أن خصائص الإنسان الروحية والمادية يجب أن تكون موضع التكريم والتقدير والاحترام باعتبار هذا الإنسان مخلوقاً مكرماً، ذا مركز عظيم في الكون خلق ليقوم بواجب الخلافة في الأرض ويعمل على عمارة الأرض وترقية الحياة وفق ما أراده الله «فالإنسان مخلوق خاص ذو كيان متميز، تميزه في ازدواج عناصر تكوينه مستخلف في الأرض مزود بخصائص الخلافة وأول هذه الخصائص، الاستعداد للمعرفة النامية المتجددة، ومجهز لاستقبال المؤثرات الكونية والانفعال بها والاستجابة لها، ومن مجموع انفعالاته واستجاباته يتألف نشاطه الحركي للتعمير والتغيير والتعديل والتحليل والتركيب والتطوير، في مادة هذا الكون وطاقاته للنهوض بوظيفة الخلافة(٢).

ومن هنا يتضح الفرق بين نظرة الثقافة الإسلامية للإنسان ونظرة الثقافات الأخرى التي تنظر إلى الإنسان نظرة مادية، لا تظهر قيمته إلا بقدر ما يقدم من إنتاج مادي، ونظرة أخرى مثالية تهمل الجانب المادي وتركز على الروح فقط، وهذا غلو من الطرفين، والتوسط هو الاهتمام بالجانبين، وهذا هو التصور الإسلامي الصحيح للإنسان، وهذه النظرة هي التي تجيب عن التساؤل المطروح وهو كيف استطاع الإسلام أن ينتشر في العالم وينجذب له الناس في فترة قصيرة، رغم قلة الإمكانيات المادية والبشرية؟ واستطاع أيضاً أن يُغيّر من الثقافات والعادات والتقاليد التي كانت

---

(١) سورة الحشر، آية ٩.

(٢) علي أحمد مدكور، منهج التربية أساسياته ومكوناته، مرجع سابق، ص١٤٠.

المجتمعات تؤمن بها، ويصيغها صياغة جديدة، رغم قصر المدة، حتى يخيل للمرء أنّه لم يكن لتلك المجتمعات والشعوب أية ثقافة سابقة، وما كان ليحصل هذا لولا أن الإنسان أياً كان فكره السابق وجد في التصور الإسلامي بغيته، وأنّه هو التصور الوحيد القادر على أن يجيب عن تساؤلاته من أنا ؟ وكيف جئت إلى الدنيا ؟ وإلى أين النهاية؟ فهذه الأسئلة لن نجد لها إجابة إلا من خلال الثقافة الإسلامية.

وهذه النظرة للإنسان في الثقافة الإسلامية لا تعني أنّها تهمل الجانب المادي وتركز على الجانب الروحي، فهذا تصور غير صحيح بدليل الواقع العملي، وهو فعل الرسول عليه السلام وأصحابه فلم يرو عنهم إهمال الجانب الدنيوي مطلقاً، بل على العكس ورد أنهم عملوا في التجارة والزراعة، وأعدوا العدة لملاقاة الأعداء، وخططوا ونفذوا لكل أمورهم المادية.

ومن هنا كان لزاماً على مؤسسات التعليم لتحقيق هذا المبدأ الالتزام بما يلي :

أ - يجب التركيز على احترام الإنسان باعتباره مخلوقاً مكرماً من قبل الله قال تعالى **«ولقد كرمنا بني آدم»** (١).

ب - يجب التركيز على احترام الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض قال تعالى **«وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة.»** (٢)

جـ- التأكيد على حق الإنسان أن يعيش عيشة كريمة، يُوفّر له فيها العمل والسكن والمأكل والمشرب، إلى جانب حقه في التعليم والمشاركة في أنشطة المجتمع المختلفة.

د- اهتمام الإسلام بالجانب المادي، إضافة إلى الجانب الروحي للإنسان، ولكنه لا يجعله القيمة العليا فقط التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته، وتهدر حرية الفرد وكرامته.

هـ- إبراز اهتمام الإسلام بصحة الإنسان، ونهيه عن كل ما يضر بصحته من مأكل أو مشرب، مثل النهي عن أكل الميتة وشرب الخمر والمخدرات وغيرها، كل ذلك من أجل المحافظة على سلامة الإنسان وصحته .

٤) أن تكون الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي : تعتبر الأسرة في الإسلام هي قوام المجتمع والسبيل إلى بقائه واستمراره على وجه الأرض، ومن هذا المنطلق حث الإسلام على تماسك الأسرة واهتم بتربية الأبناء وأوكل هذه المهمة إلى الوالدين، وإن كان الجزء الأكبر يقع على الأم باعتبارها أكثر عطفاً وحناناً على الأبناء وأعلم بتدبير شئونهم «فالمرأة لم تزود بالعطف والحنان والرفق بالطفولة والقدرة على فهمها والسهر على رعايتها في أطوارها الأولى لتهجر البيت، وتلقي بنفسها في غمار الأسواق والدكاكين، وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأناً، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت، لأنهما عالمان متقابلان : عالم العراك والجهاد، يقابلع عالم السكينة والإطمئنان، وتدبير الجيل الحاضر، يقابله تدبير الجيل المقبل، وكلاهما في اللزوم وجلالة الخطر سواء». (٣)

إلى جانب هذا يمكن القول إنّ وظيفة المرأة هي أهم وأدق من وظيفة الرجل، نظراً لأن المرأة تعد أجيالاً يسهمون في تقدم المجتمع وازدهاره، أما الرجل فيتعامل مع أشياء قد تتغير من يوم لآخر وهي

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، القاهرة، دار الإسلام، ١٩٧٣، ط × ، ص٤٦.

كلها ميسرة لخدمة الإنسان نفسه .

ومن هنا نجد أن الإسلام اهتم بالمرأة باعتبارها أماً فأعطاها حقاً أكثر من الأب،ووصى عليها زوجة وبنتاً وأختا ، هذا في الوقت الذي كانت فيه المرأة عند الوثنيين والفرس والعرب من سقط المتاع فكانت تباع وتشتري في الأسواق وتورث عندما يموت عائلها ، ووصل الأمر بعرب الجاهلية إلى دفنها حية قال تعالى « **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** » (١) .

ولابد أن تدرك المجتمعات الإسلامية أهمية الترابط الأسري وتحافظ عليه من خلال احترام الأبناء للآباء،والصغير للكبير،وعطف القوي على الضعيف،والغني على الفقير ، فمتى وجدت هذه السمات يستطيع المجتمع أن يحافظ على استقراره الأسري والاجتماعي ، وإن نظرة سريعة الى المجتمعات غير الإسلامية تجعل المرء يحمد الله على نعمة الإسلام ، فكم من الأبناء قتلوا آباءهم ، وكم من الآباء شردوا أبناءهم ، وكم من الأقارب هجروا بعضهم البعض ، وأصبحت المادة هي المسيطرة على حياة تلك المجتمعات .

ومن هنا لابد أن يدرك المجتمع الإسلامي أن من واجبات المؤسسات التربوية والتعليمية،التأكيد على العلاقة الأسرية داخل المجتمع،وبيان حقيقة دور كل فرد في هذه العلاقة ماله وما عليه ما يترك وما يعمل ، وهذا لايتم إلا من خلال تضمين ذلك في المناهج التربوية وذلك من خلال التركيز على ما يلي : ـ

أ ـ التأكيد على أهمية الترابط الأسري وأنه قوام المجتمع وسر بقائه .

ب ـ التأكيد على دور المرأة،وأنها مكلفة بدور رئيس في صناعة الأجيال وإعدادهم للحياة،بشكل يتناسب مع الدور المنوط بهم .

جـ ـ التأكيد على حسن الجوار والتواد والتراحم والتزاور،وإفشاء السلام داخل المجتمع حتى يسود الحب والوئام بين جميع أفراده .

د ـ ضرورة إعداد الشباب من الجنسين إعداداً يتناسب مع طبيعة دور كل منهما في الحياة .

هـ ـ إتاحة الفرصة للمرأة أن تقوم إلى جانب دورها الرئيسي في تربية الأجيال ببعض الأعمال التي تناسب طبيعتها كالتدريس والتطبيب .

و ـ الاستفادة من كل ما هو متاح لخدمة المجتمع في إطار العلاقات التي تربطه بغيره من المجتمعات .

٥) أن يقوم الإنسان بواجب الخلافة في الأرض عن طريق الإحسان في العمل : ـ

والإحسان في العمل ذو شقين : ـ

الشق الأول : هو استخدام أقصى درجات المهارة والإتقان في العمل الذي يقوم به الفرد ، وقد يعتقد البعض خطأ أن هناك أعمالاً دينية يجب فيها الإتقان والإخلاص كالصلاة والصوم وغيرها من أعمال العبادة ، وأعمال دنيوية لايجب فيها ذلك،وهذا تصورغير صحيح لأن الأعمال التي يقوم بها الإنسان إذا نوى بها وجه الله تعتبر عبادة ، فالعامل يعمل في الزراعة أو البناء بغرض سد حاجته ومن يعول يعتبر هذا عبادة والمدرس والمهندس والطبيب كل أعمالهم تعتبر عبادة،إذا أخلصوا النية لله عزوجل .

---

(١) سورة التكوير آية ٨ ، ٩ .

الشق الثاني: الإحسان في العمل وهذا يعني إيجاد رقابة داخلية يشعر بها الفرد حال أدائه لأي عمل يقوم به، وهنا يظهر الفرق بين من يؤدي عمله ويراقب الله فيخلص فيه ويحسن في أدائه، وبين من يؤدي العمل وهو يخاف مخلوقاً ضعيفاً مثله، لا شك أن الفرق في الإنتاج وجودة العمل سيكون مختلفاً، وهذا الإحسان مرتبط تماماً بمفهوم الإحسان في الثقافة الإسلامية وهو «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.» فالإسلام يحث أتباعه علي العمل في كل المجالات حتى يحققوا مقتضى الخلافة في الأرض وتعميرها، وفق ما شرعه لهم، ولذا يمكن القول «إنه من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا عجزاً عن الحياة ... وإنه فشل دفعنا ثمنه باهظاً عندما خبنا في ميادين الحياة وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال ومظاهر تقام ... إن الله لا يقبل تديناً يشينه هذا الشلل المستغرب. ولا أدري كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعاني من هذه الطفولة التي تجعل غيرنا يداوينا، ويمدنا بالسلاح إذا شاء.»(١)

ومن هنا يحسن بمؤسسات التعليم في العالم الإسلامي أن تركز في مناهجها التربوية على نقاط عدة، لتأكيد وغرس مبدأ الإحسان في العمل لعل من أهمها ما يلي :

أ) غرس مفهوم أنَّ العمل عبادة مع إيراد الأدلة والبراهين على ذلك من خلال القرآن والسنة، وأعمال الأنبياء والرسل عليهم السلام، حيث إنَّ أغلبهم كان يعمل إلى جانب كونه مرسلاً، وأنّه لا رهبانية في الإسلام.

ب) إزالة اللبس الذي سيطر على كثير من الناس ويتمثل في التفريق بين الأعمال المتعلقة بالعبادات كالصلاة والصيام وبين أعمال الدنيا المختلفة، والتأكيد على أنَّ هذا تصور غير صحيح يتنافى مع روح الإسلام الصحيح، فكل الأعمال لله إذا قصد بها وجه الله وكانت وفق منهجه وشرعه.

جـ) التأكيد على أهمية تعلم العلوم النافعة، وأنَّ المسلم يجب أن يجاري غيره في تعلم «التكنولوجيا» بكل أنواعها، حتى لا تضل المجتمعات الإسلامية رهينة في يد غيرها يعطيها ما يشاء، ويمنع عنها ما يشاء ومتى يشاء.

د) إبراز دور الحضارة الإسلامية وماذا قدمت للأمم من تجارب وخبرات، استفاد منها الغرب والشرق، في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحاكم وتحجر على عقول العلماء، وتمنعهم حتى من مجرد التفكير، ومحاكم التفتيش خير شاهد على ذلك.

هـ) وإجمالاً لابد من تضمين مناهج التربية التي تُدرّس في العالم الإسلامي كل أنواع النشاط الإنساني، ابتداء بالشهادتين وإنتهاءً بتعليمه كل أنواع العلم الحديث، بما فيه من صناعة وإدارة وآداب ونظم سياسة واقتصاد بما يتفق وتوجهات الأمة وثقافتها.

ما سبق كان عرضاً سريعاً لأهم المقومات والأسس التى تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وكيفية تضمينها في المنهاج التربوي لتحقق ريادتها، وتعيد مجدها من خلال الاهتمام بالناشئة وتربيتهم تربية سليمة تقوم على أساس من منهج الله وشرعه الذي ارتضاه للبشر.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ ما يواجه العالم العربي والإسلامي اليوم من مشاكل اقتصادية، أدت بدورها إلى ضيق العيش لدى المواطنين، حتى أصبح العالم الإسلامي بأكمله يوصف بأنّه من الدول

---

(١) علي أحمد مدكور، الثقافة والحضارة، مرجع سابق، ص٥٧.

النامية أو المتخلفة أو العالم الثالث ، ومشاكل اجتماعية نتج عنها تفكك أسري وإدمان على المخدرات وتشرد للأطفال وجرائم قتل واعتداء ، ومشاكل سياسية جعلت المجتمعات الإسلامية تبحث عمن يحميها من الشرق أو الغرب ويوجهها حسب ما يريده الأعداء .

كل ما سبق ما هو إلا نتيجة حتمية لبعد هذه المجتمعات عن منهج الله وشرعه .

وإجمالاً يمكن القول إن حال العالم الإسلامي اليوم يجعل الفرد المسلم يشعر أن أمته بحاجة إلى قيام ثورة تعيدها إلى رشدها ، وتعيد لها مكانتها المفقودة .

مصادر الثقافة الإسلامية : ـ

يمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين :

١) مصادر شرعية .

٢) مصادر بشرية .

وتنقسم المصادر الشرعية إلى قسمين :

أ ـ مصادر أصلية : وهي كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

ب ـ مصادر فرعية : وهي التي تستمد مشروعيتها من المصادر الأصلية السابقة مثل الإجماع والاجتهاد والقياس .

وسيتم تفصيل ذلك في الصفحات التالية : ـ

١) القرآن الكريم : ـ

إن المتتبع لتاريخ الرسل والرسالات يلاحظ أن المولى سبحانه لم يرسل رسولاً أو نبياً إلا ومعه أدلة مادية ومعنوية ليُحاجّ بها قومه ، ويبين لهم صدق نبوته ورسالته ، والكثير من الأنبياء كانت أدلتهم مادية أذهلت من رآها،مثال ذلك إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار فكانت له برداً وسلاما ، وكذا بقية الأنبياء ، ولكن المولى لم يشأ لحكمة يعلمها أن يجعل معجزة آخر الأنبياء حسية تذهل من يراها وتستعجل إيمانه ، كما شاء سبحانه أن تكون رسالته عليه السلام عالمية إلى الأمم كلها وللأجيال قاطبة،وهذا يقتضي أن تكون المعجزة خالدة وباقية ما بقي الإنسان . فكانت معجزته القرآن الكريم الكتاب المفتوح والمنهاج المرسوم الذي يستمد منه أهل الزمان والمكان ما يصلح حياتهم ، ويلبي مطالبهم ، ويقودهم إلى طريق السعادة والنجاة وقد عرفه علماء الأصول بأنه « الكتاب المنزل على سيدنا محمد عليه السلام ما بين دفتي المصحف باللفظ العربي المنقول بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة ، المختوم بسورة الناس ، وهو المنزل على الرسول عليه السلام لفظاً ومعنى وأسلوباً » (١) .

وبهذا التعريف يخرج تفسير القرآن وترجمته ، والأحاديث القدسية فليست قرآناً .

وله عدة أسماء منها : الفرقان ، الذكر ، الكتاب . وقدنزل على الرسول عليه السلام منجماً حسب الحوادث والوقائع ومرنزوله بمرحلتين تاريخيتين هما :

١) المرحلة المكية : وهي المرحلة التي نزل فيها القرآن الكريم قبل الهجرة من مكة إلى المدينة وكان التركيز في هذه الفترة على العقيدة ونبذ الشرك .

---

(١) نادية العُمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١١٧ .

٢) المرحلة المدنية : وهي المرحلة التي نزل فيها بعد الهجرة إلى المدينة ، وكان التركيز على جوانب التشريع ، وجوانب الحياة الأخرى ، والمستجدات التي كانت تواجه المجتمع الجديد .

وقد تميز القرآن الكريم بإعجازه في كل جانب من جوانبه ، ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الجوانب فيما يلي : ـ

ـ الإعجاز في البناء التعبيري والترتيب الفني باستقامته على خصائص واحدة .

ـ الإعجاز في البناء والتناسق فلا مصادفة فيه ولا تناقض،فكل توجيهاته تلتقي وتتناسق وتتكامل في اتجاه واحد ، كما يستقيم مع الفطرة الإنسانية ويلبي مطالبها .

ـ إعجازه في قوة تأثيره على القلوب والفطر السليمة فكم من شخص تأثر بآياته ، وأسلم سواء في الماضي أو الحاضر .

ـ إعجازه في مجال المغيبات ومنها الملائكة والجنة والنار ، وإخباره عن الأمم السابقة ، وذكر قصصهم مع أنبيائهم .

ـ إعجازه في مجال إخباره عن الحقائق العلمية التي لم يهتد العلماء إلى بعضها إلا أخيراً .

ـ إعجازه في مجالات التشريع ، فمن الملاحظ أن ما شرعه جاء لصالح الإنسان في كل مجالات الحياة المختلفة (١) .

والقرآن في مجمله معجز ، ويتجدد هذا الإعجاز على مر الأيام والسنين فكل من يقرأه بفهم وبصيرة يجد فيه من الأحكام والدلائل والشواهد ما يؤكد أنه من عند الله عزوجل ، لذا فكل مسلم يعتبره المصدر الأول للتشريع لكل مجالات الحياة المختلفة .

٢) السنة النبوية :

وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الثقافة الإسلامية وقد عرفت بأنها « كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير » .

وقد لقيت السنة من الاهتمام الشيء الكثير منذ عهد الصحابة حتى اليوم فقد حُفظت وتنوقلت من جيل إلى جيل ، وسخر لها المولى العديد من العلماء الذين كانوا يسافرون في طلبها من بلد لآخر ليبحثوا عن صحيحها وضعيفها،ووضعت لها ضوابط دقيقة يتم من خلالها المعرفة الدقيقة للرجال والمتون ، كما تم جمعها وشرحها بطرق تليق بمكانتها كمصدر ثان من مصادر التشريع (٢) .

وكان عليه السلام قد منع الصحابة في البداية من كتابة الحديث حتى لا يتداخل مع القرآن ، ويتجه الصحابة نحوه ، وينصرفوا عن كتابة القرآن ولكن بعد أن اطمأن الرسول عليه السلام على قدرة الصحابة على التفريق بين القرآن والسنة سمح لهم بالكتابة .

ويعتبر الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب كتاب صحيح البخاري من العلماء الذين خدموا السنة خدمة جليلة ، واعتبر كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ، وكذلك الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب كتاب صحيح مسلم ، وكذلك بقية أصحاب السنن .

---

(١) محمد التركي ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الرياض ، من منشورات جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، د.ت ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) الثقافة الإسلامية ، من منشورات جامعة صنعاء ، مرجع سابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

وجاءت السنة لأمور عدة منها : ـ

١ـ توضيح وبيان للقرآن ، لأن بعض الأحكام جاءت فيه عامة فخصصتها السنة ، والمطلق قيدته السنة ، والمجمل فصلته ، ولولا السنة لما عرفنا كيفية الصلاة والحج ومقدار الزكاة وبقية العبادات .

٢ ـ تشريع أحكام جديدة استقلت بها السنة مثل تحريم لحوم الحمر الأهلية،وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وغير ذلك من الأحكام .

٣ـ توضيح بعض من معاني القرآن الكريم ، مثل بيان المقصود بالمغضوب عليهم في سورة الفاتحة فبينت السنة أنهم اليهود ، والضالين هم النصارى (١) ،

وقد تعرضت السنة قديماً وحديثاً لهجوم شديد ممن ينسبون إلى الإسلام،ومن المستشرقين الذين حاولوا الطعن فيها ليصلوا إلى هدفهم الأكبر وهو الطعن في القرآن نفسه ، ولكن الله حفظها من التشويه والتحريف بفضل جهود العلماء الذين وضعوا الشروط لقبول الحديث أورده ، فوصلت إلينا السنة على نوعين : ـ

ـ الأحاديث الصحيحة وهي درجات في صحتها وقوتها .

ـ الأحاديث المردودة وهي درجات فبعضها لا يُحتجّ به وبعضها فيه نظر . والتصحيح والتضعيف علم له قواعده وأصوله، وظهر علم مستقل هو علم مصطلح الحديث وهو علم بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد . (٢) .

وحرص العلماء على ترتيب السنة ترتيباً منطقياً يناسب طالب العلم والباحث في الوصول إلى مراده عند البحث عن أي حديث ، فتم جمع الأحاديث التي تتعلق بموضوع معين في باب واحد كباب الطهارة أو الصلاة مثلاً .

وزيادة في خدمة السنة فقد تم الاستفادة من العلوم الحديثة كعلم الحاسب الآلي،فتم إدخال معظم الأحاديث فيه فيسر هذا على الباحثين الكثير من الوقت والجهد .

٣) الاجتهاد :

ويعتبر المصدر الثالث من مصادر التشريع ، وقد أقره عليه السلام في عهده حينما أقر معاذ بن جبل رضي الله عنه على قوله عندما أرسله إلى اليمن فكان مما قال رضي الله عنه « ..... اجتهد رأيي ولا آلو ..... » فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله »(٣)فكان دليلاً واضحاً على جواز الاجتهاد فيما لانص فيه .

ويمكن تقسيم الاجتهاد إلى قسمين : (٤)

١) اجتهاد فردي ، وهو كل اجتهاد لم يثبت باتفاق المجتهدين على رأي في أمر ما ، وهو عمل فردي توصل إليه مجتهد بعد بحث وتدقيق في الأحكام الشرعية ، ودليل هذا النوع هو حديث معاذ السابق .

---

(١) المرجع السابق . ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) جامعة الملك سعود ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الرياض ، من منشورات الجامعة ، د.ت ، ط× ، ص ١٧٥.

(٣) رواه أبو داود في السنن ، كتاب الأقضية، ج ٣ .

(٤) علي حسب الله ، أصول التشريع الإسلامي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٥ ، ١٩٧٦، ص ١١٥ .

٢) اجتهاد جماعي ، وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي.

وللاجتهاد شروطه وقواعده عرضها العلماء في أكثر من موضع ولعل أهمها ما يلي : ـ

١) امتلاك المجتهد لأدوات الاجتهاد مثل العلم بالقرآن من حيث تفسيره ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ومعرفة المطلق والمقيد ، والعلم بالسنة صحيحها وضعيفها ، والعلم بالفقه .

٢) أن يكون المجتهد عدلاً وسيرته حسنة ، ولم يسبق اتهامه بتهمة تخل بالأمانة أو المروءة .

ولا بد للمجتهد أيضاً أن يكون عالماً بالنصوص وأن يفهمها فهماً دقيقاً،من حيث كونها ظنية الثبوت والدلالة أم قطعية الثبوت والدلالة،ويحدد أحد الباحثين (١) العلاقة بين النص والاجتهاد بأنها لا تخرج عن الإطار الآتي : ـ

ـ أن يكون النص ظني الثبوت وهناك خلاف حول ضرورة الاجتهاد في ثبوت النص .

ـ أن يكون النص ظني الدلالة وهناك خلاف حول ضرورة الاجتهاد في دلالة النص .

ـ أن يكون النص ظني الدلالة والثبوت وهناك خلاف أيضاً في الاجتهاد لمعرفة دلالته وثبوته معاً.

ـ أن يكون النص قطعي الدلالة والثبوت ، والبعض استنتج من هذا عدم جواز الاجتهاد ، كون النصوص ثابتة من حيث دلالتها وثبوتها .

والواقع أن الاجتهاد قائم لإنزال الأحكام منازلها ، ولفهم النص فهماً صحيحاً،والاجتهاد في مثل هذه النصوص لا يعدو أن يكون من باب المقارنة والموازنة بين النص وما يماثله من نصوص وردت في نفس الموضوع .

ويمكن القول إن الاجتهاد لاغنى عنه في أي عصر من العصور نتيجة للتطورات والأحداث والمستجدات التي تعيشها المجتمعات ، فلابد من وجود علماء يبينون الحق من الباطل والهدي من الضلال ، وهذا لا يتم إلا من خلال وجود علماء يمتلكون باعاً طويلاً في العلوم والمعارف المختلفة .

كما أن الاجتهاد دليل على مرونة الإسلام ومسايرته لكل عصر ومصر ، ومن خلاله نستطيع أيضاً أن نعالج كل القضايا المستجدة التي لا نجد لها نصاً صريحاً في الكتاب أو السنة .

٤) الإجمـاع :

ويعرفه الكثير من علماء الأصول بأنه « اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على حكم شرعي.» (٢) .

وهذا النوع من الإجماع لايستطيع أحد الجزم بحصوله خاصة بعد أن انتشر الإسلام وخرج عن نطاق مكة والمدينة،وكثر العلماء والمفكرون وتفرقوا في أماكن شتى من العالم الإسلامي فصعب جمعهم في مكان واحد لأخذ رأيهم في مسائل معينة، وقد شدد بعض العلماء في هذا الجانب وردوا على القائلين بحصول الإجماع فقال الإمام أحمد « من ادعى الإجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا ، ولكن يقول : لا نعلم الناس اختلفوا ، أو لم يبلغنا.» (٣) ومن هنا نلاحظ حرص العلماء على دقة التعبير وعدم إطلاق الألفاظ دون فهم ودراية ، وهذا واضح من القول السابق ، وهناك مصادر فرعية أخرى منها القياس، والاستحسان، والعرف، والاستصحاب ، ومذهب الصحابي .

---

(١) محمد عمارة ، معالم المنهج الإسلامي ،المعهد العالي للفكر الإسلامي،القاهرة، دار الشروق ،د.ت ، ط١، ص ١٣٥ .

(٢) عمر سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عمان ، دار النفائس ، ١٩٩٢ ، ط ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٧ .

خصائص الثقافة الإسلامية :

لكل ثقافة خصائص ومميزات تجعلها تتميز عن باقي الثقافات الأخرى ، ولكون الثقافة الإسلامية مصدرها من عند الله عزوجل فخصائصها تختلف عن أية ثقافة غير ربانية ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي : ـ

١) أنها ثقافة ربانية في غايتها ومصدرها ، وكونها ثقافة ربانية الغاية فهذا يعني أنها تربط الإنسان بخالقه ، وتجعله يلجأ إليه في كل أقواله وأفعاله وأن مصدرها إلهي ليس للبشر فيها أي دور،بمعنى أنها بعيدة كل البعد عن الأفكار الفلسفية التي أنتجها الإنسان وحاول تقديمها للبشرية ، وهذا هو السر الذي يعطي للثقافة الإسلامية قيمة التفرد والخلود ، ومن البديهي أن الثقافة التي تنبع من كتاب الله والتي تحقق حاجات الإنسان ويطمئن إليها ويثق في صحتها لاشك أنها تنشئ أرقى ثقافة عرفتها البشرية وتقدم أشمل منهج للحياة ، وهذه الخاصية جعلت الثقافة الإسلامية تأخذ طابعاً مغايراً للثقافات التي استمدت مصادرها من الأفكارالفلسفية اليونانية والرومانية ومن النصرانية المحرفة أومن الفلسفة الوضعية (١) .

ومن أجل بقاء واستمرارية هذه الثقافة فقد اختص المولى عزوجل مصدرها الرئيسي بالحفظ قال تعالى **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »** (٢) .

ومهمة الرسول عليه السلام كان تبليغ هذا المصدر وتوضيحه من خلال السنة النبوية التي تعتبر شارحة وموضحة للقرآن الكريم ، وكذلك من خلال تنفيذه وتطبيقه لكل تعاليمه وجعله منهاج حياة متكاملاً وقد تميز هذا المصدر بسمة الخلود والتفرد والصدق ، فمن الملاحظ أن كل الكتب السماوية السابقة للقرآن قد شابها التحريف والتغيير،ودخل فيها كلام البشر فتغيرت طبيعتها الربانية وتبدلت، ولكن القرآن ظل كما هو من أول ما نزل على الرسول عليه السلام كما تؤكد الآية السابقة ذلك .

وهذه الصفة الربانية التي تميز الثقافة الإسلامية تحمي الإنسان وتعصمه من التناقض والاختلاف الذي تعاني منه الثقافات والفلسفات البشرية،والتي عادة ما ترتبط بظروف معينة وتخضع لمؤثرات كثيرة منها البيئة والظروف المحيطة والحالة الاقتصادية والاجتماعية،وما ينجم عن ذلك من ردود الفعل التي تبعدها عن العمق والصدق والاتزان (٣) .

وهذا الأمر واضح من خلال تخبط المجتمعات وعدم ثباتها على مبدأ واحد ، ومثال ذلك ما حصل في الفلسفة الماركسية التي كانت تعتبر الحالة الاقتصادية أصل لكل الأعمال الإنسانية في حياة الأمم، وأن تغيّر الأحوال الاقتصادية يؤثر على أحوال الدولة وسياستها،ويؤثر كذلك في نظرهم على العلم والدين ، وعلى هذا فالثقافة عندهم فرع من الحياة الاقتصادية (٤).

ـ ويرى الباحث ـ أن هذا التفسير ينقصه المنهج العلمي ، والتحليل المنطقي بدليل أن الاشتراكية سقطت في الفترة الأخيرة،ولم نجد من يعلل ذلك،إن السبب الرئيسي هو تدهور الاقتصاد فقط ، ولكن

---

(١) نادية شريف العُمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ـ مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٣) عدنان زرزور ، إنسانية الثقافة الإسلامية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٢م ، ط ٢ ، ص ١ .

(٤) نادية شريف العُمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢١ .

من الواضح أن هناك أسباباً كثيرة منها المعروف والمجهول،ولعل من أبرز تلك الأسباب أن هذا التصور المادي للحياة لم يعد قادراً على إقناع الغالبية العظمى من معتنقي هذا الفكر أن الحياة مادة فقط تحكمها وسائل الإنتاج والآلة والمصنع ، إلى جانب ما نراه اليوم من تناقضات الحضارة الغربية ومشاكلها في مجالات الحياة المختلفة ابتداء من استعمارها للشعوب وانتهاءً بتحكمها بأقوات وحياة الناس،خاصة دول العالم الثالث الذي يقع العالم العربي والإسلامي من ضمنها .

ويمكن إجمال خاصية الربانية وفوائدها في الثقافة الإسلامية بالأمور التالية : ـ

ـ معرفة غاية الوجود الإنساني ، وأن الحياة لها قيمة ومعنى ، ويعرف الإنسان من أين جاء ولمَ جاء، وإلى أين قراره ومصيره وأنه لم يخلق عبثاً أو ليأكل ويشرب فقط .

ـ الاهتداء إلى الفطرة ، واهتداء الإنسان إلى فطرته ليس كسباً رخيصاً بل مغنماً كبيراً ، والحقيقة والواقع تؤكدان أن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة مهما بلغت ، إنما يملؤه الإيمان بالله ، وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالجوع والظمأ حتى تجدالله وتؤمن به وتتوجه إليه .

ـ سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلي ، ويتضح هذا من خلال توحيد الغاية والاتجاه بالنسبة للفرد المسلم في اتجاه واحد هو إرضاء الله سبحانه،ولاشيء أفضل للإنسان من كونه يعرف من أين يبدأ وإلى أين يسير ، والفرق واضح بين موحد راضٍ بما قدره الله عليه في الحياة وبين مشرك تعددت أربابه وتضاربت وجهاته،وقد مثله القرآن الكريم بالعبد الذي له أكثر من سيد ، كل سيد يأمره بعكس ما يأمره به الآخر .

ـ التحرر من العبودية والأنانية والشهوات ، وذلك أن الإنسان الذي وجهته ربانية يوفقه إيمانه بالله واليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات النفس ومتطلبات الدين بين ما تدفعه إليه شهوته وما يأمر به ربه ، بين ما يمليه عليه الهوى ، وما يمليه عليه الواجب ، بين متعة اليوم وحساب الغد (١) .

وهذا لا يعني أن الإنسان ملاك لايقع في خطيئة أو خطأ فهذا غير متصور ، لأن التقصير حاصل والذنوب كثيرة ، وإنما الذي يفترض هو سرعة العدول عن الذنب والالتزام بمنهج الله .

ويبقى السؤال وهو كيف نُعلّم الأجيال معنى الربانية.؟ وما هي الوسيلة لذلك؟

أما الكيفية فهي أن يتم تدريب الشباب والأبناء على الطاعة وتعليمهم مبادئ الإسلام من الصغر كما أمر بذلك عليه السلام حتى يتدرب الطفل على الربانية منذ صغره،وينشأ بعد ذلك عضواً صالحاً في المجتمع .

أما الوسائل فهي متعددة منها البيت والمدرسة والجامعة والنادي وأماكن العمل ، وينبغي التركيز على النشيء في المدرسة بحيث لا تكتفي بتدريس الحقائق والمعلومات المادية وتهمل الحقيقة الكبرى وهي قضية الوجود الإنساني .

٢) الثبات والمرونة : ـ

ونعني بالثبات هنا ثبات المصدر الأول للثقافة الإسلامية،وأن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية ثابت الحقيقة وثابت المفهوم وغير قابل للتغيير،لأن الأساس الذي تقوم عليه الثقافة الإسلامية هو الإيمان بالله وبوجوده وقدرته وهيمنته على كل ما في الكون وأنه الخالق المدبر الرزاق الرحيم ، فهذه حقيقة ثابتة لايمكن لأحد أن يبدلها أو يغيرها .

(١) يوسف القرضاوي . الخصائص العامة للإسلام ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ١٩٧٧ م ، ط١ ، ص ١٠ ـ ١٧ .

وبناءً على ذلك تأتي بقية الأمور الأخرى منها أن الدين عند الله الإسلام،وأنه خلق الإنسان واستخلفه في الكون وأن الناس كلهم من أصل واحد،وأن الإنسان مخلوق مكرم على سائر المخلوقات وغير ذلك مما يتصل بالعقيدة الإسلامية اتصالاً مباشراً .

والأمر المترتب على ثبات هذه الحقائق في الثقافة الإسلامية هو ضبط حركة الإنسان وتقيّدتصرفاته ضمن إطار محدد ، إلى جانب ضبط الفكر الإنساني فلا يتغير تبعاً للأهواء والمؤثرات النفسية أو الخارجية،ولا يعني هذا الثبات أن الثقافة الإسلامية جامدة لا تواكب التطورات أو التغيرات الحاصلة في المجتمعات فهذا تصور غير صحيح لأنها تتميز بالمرونة إلى جانب الثبات ، وقد عمل أحد الباحثين مقارنة جيدة بين الثبات والمرونة وكانت كالتالي : ـ (١)

ـ يوجد ثبات في الأهداف والغايات ومرونة الوسائل والأساليب .

ـ يوجد ثبات في الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات .

ـ يوجد ثبات في القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية .

والثقافة الإسلامية بهذه الميزة وهي الثبات والمرونة تختلف اختلافاً كبيراً عن أية ثقافة أخرى ، وقد شهد الأعداء بحيوية الثقافة الإسلامية ومرونتها ، فقد أصدر مؤتمر القانون الدولي المقارن في لاهاي « اغسطس عام ١٩٣٧ » قراراً نص فيه على « أن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ومسايرة المدنية الحديثة وأنها لذلك جديرة بأن تشغل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن»(٢) .

ويؤكد باحث آخر على أن الثبات في القيم والمثل لا يجرد الإنسان من كل حول وقوة ولا يتركه متقوقعاً في بيته أو مسجده،منطوياً على نفسه ينتظر الصدقات والهبات من فاعلي الخير فهذا تصور غير سليم فالقيم والمثل الثابتة لا تحجر على الفكر،ولا تمنع من الإنتاج والعمل واكتساب المعارف والعلوم النافعة بل تدفع إلى ذلك دفعاً ولكن هذه الأنشطة ، لاتخرج عن محور الثبات في الحقائق والقيم الهامة فلا تسقط الأمانة منه في يوم ما ، ولا يكون الغش والكذب سبيله للنجاح مهما كان قيمته ولاتكون السرقة وسيلته للحصول على المال، ولا التزلف أو التصنع وسيلته للوصول إلى المنصب والجاه(٣) .

٣) أنها ثقافة شاملة :

فالشمول من الخصائص التي تميزت بها الثقافة الإسلامية لأنها تقدم للإنسانية ثقافة لكل زمان ومكان ولكل جيل وأمة إنه شمول يستوعب الزمان كله ، ويستوعب الحياة كلها ويستوعب كيان الإنسان كله .

إنها رسالة لكل زمان وجيل ، وليست رسالة خاصة بعصر معين أو جيل محدد وينتهي أثرها بانتهاء العصر أو الجيل ، كما هو حال الرسالات السابقة ، فقد كان النبي يبعث لمرحلة معينة حتى إذا ما انتهت بعث الله نبياً آخر، أما محمد عليه الصلاة والسلام فهو خاتم النبيين ، ورسالته هي الرسالة الباقية إلى يوم الخلود (٤) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) نقلاً عن أنور الجندي ، الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، سلسلة التعريف بالإسلام ، ١٩٦٤ ، ط × ، ص ٩٨ .

(٣) نادية شريف العُمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٤) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ـ مرجع سابق ص ٩٩ .

وهي شاملة لأنها تستوعب حياة الإنسان كلها الروحية والجسدية والمشاعر والأحاسيس ، وتهتم به جنيناً ومولوداً ورضيعاً وشاباً حتى آخر حياته ، كما أنها لا تقتصر عل جانب معين من جوانب النشاط الإنساني فهي ثقافة شاملة لكل مناحي الحياة ، ففي مجال الاقتصاد لها رأي وفي السياسة كذلك وفي الاجتماع وفي العلاقات بين الناس،وفي ظل هذا الشمول يشعر الفرد بأن حياته منظمة وتسير وفق منهج رباني يحدد له الخير من الشر والضلال من الهوى ، وينتج عن هذا الإخلاص في العمل وفي العبادة ، ويعتبر المسلم نفسه أنه في عبادة وهو يؤدي أي عمل سواء كان دنيوياً أو أخروياً، فكل حياته تسير وفق منهج الله ما دام الفرد يؤدي عملاً يرضي ربه ويخدم مجتمعه « فليس في التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة ، فالمنهج الإسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة أولاً وأخيراً .» (١) وفي ظل هذا التصور لطبيعة الأعمال يستطيع الفرد أن يعيش ويعمل لآخرته وهو في دنياه ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه وأن يزاول كل صور النشاطات المختلفة وهو مرتبط بالله ، وهذا الشمول في الثقافة الإسلامية يختلف تماماً عن الثقافات الأخرى التي تحاول تشطير الإنسان إلى شطرين شطر مادي وآخر روحي ولا علاقة لها ببعض ، فالأخير تغذية الكنيسة والأول لامكان فيه لله ، فهو شطر للدنيا ، وللسياسة وللمجتمع والدولة وهذا التصور لا يتفق مع طبيعة الإنسان الذي ينظر إليه على أنه كلٌ متكامل،لا انفصال لروح عن جسد ولا عاطفة عن عقل ، ولا جسد عن عقل ، ونظراً لما قدمته الثقافة الإسلامية من شمول فقد اعتبرها أحد المفكرين ميزة خاصة فقال « إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية ، وهو المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية ، وهو المزية التي توحي إلى الإنسان أنه كل شامل فيستريح من (فصام) العقائد التي تشطر السريرة إلى شطرين تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق » (٢) .

ومما يؤسف له أن بعضاً من المفكرين في العالم العربي يحاولون تشطير الإنسان عن طريق فصل الدين عن الدولة،وجعل ما لله لله وما لقيصر لقيصر تأثراً منهم بفلسفة الغرب أو الشرق وهذا تصور ينبئ عن جهل بالإسلام وأحكامه وتصوره عن الإنسان والحياة والكون،ومن هنا لابد أن يظهر دور المثقفين والمستنيرين في العالم العربي ويوضحون للأجيال شمول الإسلام وعظمته وصلاحيته لكل زمان ومكان،عن طريق ربط مناهج التعليم العام والعالي بالإسلام وتخصيص مقررات لبيان أحكام الإسلام وشموليته لجميع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان المسلم .

٤) أنها ثقافة إيجابية : ـ

الثقافة الإسلامية إيجابية نظراً لما تحدثه في وجدان ومشاعر المسلم من حب لعمل الخير وتعاونه مع الآخرين وحبه للفضيلة ، وتفانيه في سبيل تحقيق الحق وإزهاق الباطل ، ولذلك فليس الفرد في عرف الثقافة الإسلامية ذلك الإنسان السلبي الذي يعيش على هامش الحياة ، فلا علاقة له بالأحداث والقضايا والمتغيرات التي تحدث من حوله .... وإنما هو ذلك الإنسان الإيجابي في كل تصرفاته المهتم بأمور ومشاكل الآخرين يؤلمه ما يؤلمهم ويفرحه ما يفرحهم (٣) .

---

(١) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٢) عباس العقاد ، الإسلام في القرن العشرين ، فصل قوة صامدة ، ص ٧٠ .

(٣) سامية محمدي عجوة ، برنامج مقترح للثقافة الإسلامية لطلاب التعليم الفني التجاري ، مرجع سابق ، ص ٤٠

إن الانسان السلبي هو الذي لايحسن إلا إذا أحسن الناس وإذا وجدهم قد أساءوا فهو أولهم ، لذا فقد عبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك الإنسان بقوله « لاتكونوا إمعة تقولوا إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن ، وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » (١) .

ان الإيجابية تقتضي دعوة الناس إلى الخير والحق والحب والتعاون فيما بينهم والقيام بمثل هذه المهمة تشعر الفرد بضخامة المسؤولية التي يجب أن يقوم بها وبأهميته كفرد في الحياة ، وأنه لم يخلق عبثاً وكون الفرد إيجابياً فهذا إعلاء من قدره ، وتميزه بالإيجابية عن باقي الأفراد السلبيين الذين لاتهمهم إلا مصالحهم وأنفسهم .

ومن ثمرات الإيجابية أنها تحقق للمجتمع مكانة بين المجتمعات الأخرى وتجعل الآخرين ينظرون لهذا المجتمع بنظرة احترام وتقدير .

ولكن مما يؤسف له أن واقعنا في العالم العربي والإسلامي يشهد بأن السلبية هي المسيطرة والأنانية هي السائدة والتكالب على الدنيا وما فيها هو الظاهر ، وكل هذا ما جاء إلا نتيجة لابتعاد المسلمين كأفراد وجماعات عن المنهج الحق والتصور الصحيح لهذا الدين ، ومن هنا ينبغي التأكيد على كل وسائط التربية بأهمية إبراز الإسلام بشكله الصحيح وتوضيح مزاياه حتى تكون الأجيال على بينة من دينها وثقافتها .

٥) أنها ثقافة واضحة :

إن الثقافة الإسلامية واضحة في كل جوانبها سواء الأصول أو الفروع وواضحة في وسائلها وغاياتها،وأول ما يبدو الوضوح في نظرة الثقافة للمسائل الاعتقادية وأول ذلك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ففي هذا الجانب نجد أن الثقافة الإسلامية قدمت تصوراً واضحاً بعيداً عن كل الخرافات والتأويلات التي اتبعت في الثقافات الأخرى،والتي صورت الإله وكأن له شريك أو ولد ، وبالمقابل ثقافات أخرى شطت في هذا الجانب وأنكرت وجود إله أو رسل ولم تؤمن بكل ما هو غيبي فهنا نلاحظ الشطط في التصورين بعكس الإسلام الذي اعتمد على البرهان العقلي والوضوح وهذا واضح من خلال تحدي الله للمشركين بقوله **«أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»**.(٢)

لذا فقضية التوحيد واضحة في ذهن كل مسلم وضميره ، كيف لا.؟ وهو يستقبل ويودع الحياة بالتوحيد من خلال الشهادتين (٣) .

ومن مظاهر الوضوح في الثقافة الإسلامية أن المسائل التعبدية من صلاة وصوم وحج وزكاة واضحة لكل الناس العامي والمتعلم ، الرجل والمرأة ، والشاب والشيخ فليس هناك صلاة للخاصة وأخرى للعامة وليس هناك حج خاص بالاغنياء دون الفقراء،أو حج خاص بالملوك دون المملوكين أو الرئيس دون المرؤوس فالكل يجب عليهم أن يؤدوا مناسك واحدة وفي وقت واحد ولمرة واحدة،وهذا بعكس بعض الثقافات الأخرى التي تقسم فيها العبادات للعامة وللخاصة ، وكذلك جانب المعاملات من بيع وشراء ورهن وشفعة وغير ذلك من أنواع المعاملات فهي واضحة للجميع ، وكذلك الثقافة الإسلامية

---

(١) أخرجه الترمذي ، (تحفة الأحوذي) ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، جـ ٦ ، ص ١٤٥ .

(٢) سورة النمل آية ٦٤ .

(٣) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق . ص ١٧٨ .

واضحة من حيث بيان جزاء الأعمال وثوابها فليس هناك شيء مخفي وآخر واضح،فكل من يعمل خيراً يَجد أن جزاء ذلك العمل وأجره واضح بالنسبة له وسوف يحاسبه ربه في الآخرة على ذلك،وكذلك الآداب العامة واضحة لكل الناس سواء آدابهم في الأكل والشرب أو في الملبس والمسكن ، وحقوق الجار ، ويمكن القول إن كل الحقوق والواجبات واضحة بالنسبة للفرد المسلم وضوح الشمس في رابعة النهار، ولو أراد الباحث أن يتكلم في وضوح الثقافة الإسلامية لاحتاج إلى صفحات كثيرة ولكن حسب الموضوع ما سبق .

٦) إنها ثقافة إنسانية :

نستطيع القول إن الثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية لأن هدفها بالدرجة الأولى هو الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه ومكانه وزمانه قال تعالى **« ولقد كرمنا بني آدم ،»** (١) فالتكريم هنا حاصل ويشمل كل جنس بني آدم،وتظهر إنسانيتها أيضاً من خلال احترامها للإنسان وعدم التفريق بينه وبين أخيه الإنسان،وذلك من خلال فرض عبادات ومعاملات وعقائد واحدة فلا فرق بين غني وفقير وأمير ووضيع ورجل وامرأة وشيخ وشاب،فالكل له حقوق وعليه واجبات يؤديها ، إن الثقافة الإسلامية ومنهجها القرآن والسنة تتميز بأنها إنسانية في نزعتها وغايتها وهدفها،وإن الرابطة التي تربط بين الناس هي رابطة العقيدة فيها يرتفع الإنسان وينخفض،(٢) وبهذا المفهوم وهذه النظرة تختلف الثقافة الإسلامية عن باقي الثقافات « لأن كل ثقافة بشرية المصدر بأية صورة من الصور لايمكن أن تكون إنسانية تصلح لجميع الناس في جميع العصور ، أو على الأقل لايمكن أن تتصف بالعموم والخلود لأن الإنسان مهما سمت عنده النزعة الإنسانية واستطاع أن يكون مثالاً للنزاهة والتجرد لا يمكن أن ينفصل عن مجتمعه وبيئته أو عن زمانه على أقل تقدير (٣) .

ولا يعني كون الثقافة الإسلامية إنسانية أنها سيطرت على عقل الإنسان ومنعته من التفكير أو التأمل والبحث عن كل جديد في عالم المعرفة بل على العكس ، فالواقع يثبت أن الإسلام ترك العقل يبحث عما يغذيه ويفيده والأدلة في هذا كثيرة سواء من القرآن أو السنة كلها تحث على إعمال العقل والتدبر في الكون وما فيه من آيات ومعجزات،كلها في النهاية تدل الفرد على عظمة صانع الكون ومبدعه ، ولعل من أبرز الدلائل على اهتمام الثقافة الإسلامية بإنسانية الإنسان أن أول ما نزل من القرآن في الخمس الآيات الأولى من سورة العلق ذُكر الإنسان فيها مرتين ، والقرآن الكريم يمكن وصفه بأنه كتاب الإنسان فهو إما حديث إلى الإنسان و إما حديث عن الإنسان ، وقد وردت كلمة إنسان في القرآن الكريم (٦٣) مرة هذا فضلاً عن ذكره بألفاظ أخرى مثل « بني آدم» وكلمة الناس التي تكررت « ٢٤٠ » مرة (٤) .

وإجمالاً يمكن القول إن كل تشريعات الإسلام لها فوائد وجوانب إنسانية ، فنظرة إلى الزكاة نجد أنها تحقق مبدأ العدالة والمساواة وعطف الغني على الفقير ، وكذلك الصلاة يجتمع فيها المسلمون في اليوم خمس مرات يعرفون من خلالها أحوالهم ومشاكلهم ويزورون مرضاهم ويواسون محتاجهم ،

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠ .

(٢) عبدالكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م ، ط ١٣ ، ص ٨٨ .

(٣) عدنان زرزور ، إنسانية الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٤) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

وكذلك ما شرعه الإسلام من آداب عامة في مجالات الحياة كلها فقد أمر بإفشاء السلام وإماطة الأذى عن الطريق والإصلاح بين الناس والكلمة الطيبة ، كل هذه الأعمال هي في مضمونها عبادة ولكنها في نفس الوقت عمل إنساني ، وبهذا يمكن أن نقول للمتشدقين بحقوق الإنسان بأن الإسلام قد سبقهم بآلاف السنين ، في هذا المجال ، وكذا فالإسلام يحث على احترام حقوق غير المسلمين وأقر لهم ما للمسلم من حقوق وواجبات بشرط احترام العهود والمواثيق القائمة بينهم وبين المسلمين .

* نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة وتشتمل على : ـ

ـ نظرة الإسلام للإنسان .
ـ نظرة الإسلام للكون .
ـ نظرة الإسلام للحياة .
ـ تعليق حول دور المؤسسات التربوية والتعليمية في إبراز التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة .

تتميز نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة بأنها نظرة متكاملة ، وهذا التكامل ناتج عن شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة المختلفة .

فالإنسان في الإسلام عابد لله في كل أقواله وأعماله سواء الدينية أو الدنيوية ، وهو مخلوق مكرم مستخلف في الأرض ، خلق الله من أجله كل ما في الكون ليسخره ويستعين به على القيام بواجب الخلافة في الأرض،والحكمة من خلق هذا الإنسان تحقيق العبودية لله عزوجل قال تعالى « **وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون .**» (١)

والكون بما فيه من معجزات ودلائل تدل على قدرة الخالق وحكمته في خلق هذا الكون وإيجاده من العدم ، فهو مخلوق حادث ، ليس بالقديم الأزلي ، كما أنه لم ينشأ من ذات نفسه ، بل أنشأه المولى وأوجده من العدم .

أما الحياة في التصور الإسلامي فهي مجموع أنشطة الكائنات والطاقات التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية المختلفة ، وطبيعة الحياة لا تستقيم إلا باستثمار ما أودعه الله في الكائنات من طاقات استثماراً صالحاً،وتوجيه ألوان النشاط البشري لاستخدام تلك الطاقات بالرفق واللطف وفق منهج الله ، ولابد أيضاً من التنسيق والتكامل بين أنشطة الكائنات المختلفة،يقود ذلك الإنسان بحكم ما شرفه الله به من عقل وحكمة يختلف بهما عن سائر الكائنات.ونظراً لما للإنسان والكون والحياة من أهمية في التصور الإسلامي ، فسيتم استعراض ذلك بصورة موجزة على النحو الآتي : ـ

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

أولاً : ـ الإنسان في الإسلام : (١)

الإنسان في نظر الإسلام خلق من خلق الله ، مفطور على الاعتراف بربوبية الله ، وهو كائن لاهو بالملاك ولا هو بالحيوان يستطيع أن يختار أيهما شاء وهو مشتمل على استعداد للخير وآخر للشر ، وليس أي العنصرين غريباً عن طبيعته ، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه ، فهو حرفي اختيار الطريقين، والإسلام يعتبر الإنسان مكوناً من عقل وجسم وروح وهي حقائق موجودة في كل إنسان ، فالجسد يشتمل على اللحم والدم والنوازع الفطرية والشهوة الملحة ، ومطلوب من الإنسان الحفاظ على جسده من خلال اتباعه القواعد الصحية السليمة التي أمر بها الإسلام فلا يشرب أو يأكل محرم ، ولا يُعرّض نفسه للمخاطر التي قد تؤدي بحياته إلى الهلاك وبهذا يضمن الإنسان المحافظة على ذاته أولاً، والمحافظة على النوع ثانياً .

والعقل مهمته مساعدة الإنسان على اختيار الطرق الصحيحة التي توصله إلى جادة الصواب وهو مناط التكليف والمسؤولية ، وهو شرف الإنسان وميزته ، ووسيلته للتفكير والاختيار،يقول محمد قطب « إن مهمة العقل لاتقف عند حد معين ، فلكي يتأتي له أن يقوم بمهمته على أحسن وجه جعلت فيه نزعة دائمة إلى المعرفة ... وعن طريق هذه النزعة ترتقي الحياة وتتقدم » .

أما الروح فهي طاقة كبرى غير محسوسة ، لا يعترف بها الماديون ومن شاكلهم باعتبارها أمراً غير محسوس وملموس ، ومع هذا فالروح بالنسبة للمسلم من أهم الوسائل التي تؤدي إلى ارتقاء الإنسان وصفائه باعتبارها طاقة إيمانية وربانية .

وهذا التقسيم لا يعني التضاد أو التنافر وإنما هو على سبيل التسهيل والتنظيم،وإلا فالإنسان في الإسلام كائن بشري متكامل يحتاج إلى تحقيق رغباته العقلية والجسدية والروحية بشكل متوازن، يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات الفرد والمجتمع،دون أن يطغي هدف على آخر أو مصلحة على أخرى ، بعكس ما هو موجود في الفلسفات الأخرى التي تعلى من شأن الفرد وتجعله محور اهتمامها وتهمل المجتمع كما هو حاصل في الرأسمالية،أو الاهتمام بالمجتمع على حساب الفرد كما حصل في النظام الاشتراكي والذي سقط مؤخراً بسبب عدم اتفاقه مع الطبيعة البشرية .

ويظهر الفرق واضحاً بين نظرة الإسلام للإنسان ونظرة المسيحية كما صورتها الكنيسة ، والتي بالغت في فرض القيود على النشاط الحيوي وأنكرت حق الفرد في مزاولة الكثير من النشاط،وولدت لديه الكثير من المشاكل التي جعلته ينفر من هذا التسلط،ويعتنق مذاهب ومبادئ أخرى ليخفف عن نفسه من حدة التسلط البابوي الذي لا يراعي حقوقه ونوازعه قال تعالى « **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها.** »(٢) فالمولى يشير إلى أن النصارى هم الذين ابتدعوا الرهبنة والانقطاع عن ملذات الدنيا المباحة ، وهذا عكس ما هو حاصل في الإسلام الذي يدعو أتباعه إلى التمتع بكل مباهج الدنيا المباحة والاستمتاع بها قال تعالى « **قل من حرم زينة**

---

(١) انظر كلاً من : ـ

ـ سيد قطب مقومات التصور الإسلامي ـ القاهرة ، دار الشروق ، ط ٤ ، ١٩٩٣م .

ـ علي أحمد مدكور ، منهج التربية أساسياته ومكوناته ـ مرجع سابق .

ـ محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ط ١٠ ، ١٩٨٩م .

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٧ .

الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١) .**وقال تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا »** (٢) .

وفي الوقت الذي تحرم تعاليم الكنيسة على الإنسان حتى مجرد الإحساس بالشهوة حتى يكون جديراً بملكوت الرب ، نجد الإسلام واضحاً وصريحاً في الاعتراف بالطبيعة البشرية ومطالبها قال تعالى **« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث »** (٣) . ولا يعني هذا أن الإسلام يطلق للإنسان العنان فيعمل ما يشاء ويترك ما يشاء،بل هناك قواعد وضوابط كلها جاءت لصالح الإنسان ولتنظيم شؤون حياته كلها ، فعند ما حرم الإسلام شرب الخمر وما في حكمه،لم يكن هذا من قبيل فرض القيود والضوابط بل جاء لمصلحته أولاً،ولمصلحة الجماعة ثانياً ، وحينما حرم عليه السرقة والرشوة والزنا والكذب وكل المحرمات هي في الواقع لمصلحته ومصلحة المجتمع .

وبناءً على ما سبق ولمزيد من التوضيح لأهمية الإنسان في الإسلام سيتم عرض بعض خصائصه فيما يلي : ـ

١) إن الإنسان في الإسلام عابد لله مؤمن به ، وهو مخلوق مكرم على كل المخلوقات مفطور على الإيمان والتوحيد مقراً بعبوديته لله،وهذا هو المقصود بقوله عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة» فالمقصود هنا بالفطرة الإسلام ، والعبودية لله تقتضي من الفرد المسلم أن يعبد الله على بصيرة ومعرفة وذلك من خلال معرفته لكل الأحكام الشرعية سواء ما يتعلق منها بالجانب العقائدي أوالعبادات أو المعاملات .

أما ما تقول به الفلسفات الأخرى بأن الإنسان حيوان متطور عن الطبيعة التي هي أصل الأشياء وسبب وجودها وأنه لا يوجد خالق غيرها ، وهذا ما يدعيه أصحاب المذهب التطويري وغيرهم،وهو لا يستند إلى أسس علمية أو منهجية وثبت عدم صحته ، وكذا نظرية دارون القائمة على نفس الفكرة السابقة.وكما يقول أحد الباحثين عن هؤلاء ونظرياتهم أنها لا تعدو « أن تكون أسطورة يونانية قديمة قال بها الطبيعيون اليونان ، وأحياها ملاحدة التطوريين الطبيعيين حديثاً ، وزينوا لها الأدلة ، أولووا أعناق بعض النتائج التي أسفرت عنها البحوث الطبيعية.» (٤)

وبهذا يمكن القول إن الإنسان مهما ارتقى في علمه واكتشافه لأسرار الكون وتسخيره لخدمته،لا يستغني عن هداية الله المتمثلة في وصاياه وأحكامه التي تضبط سيره،وتحفظ خصائصه وتحميه من نفسه أولاً،ومن إغراءات الحياة ثانياً .

٢) إن الإنسان في الإسلام حر ومسؤول : فالحرية والمسؤولية وجهان لعملة واحدة ، فالحرية تستلزم المسؤولية التي تتطلب الحرية ، والحرية ليست منحة يهبها الحاكم أو الزعيم متى شاء ويمنعها متى شاء ، بل هي جزء من فطرة الإنسان وجزء من إنسانيته بها يكون إنساناً مسؤولاً يختار ما يشاء ويدع ما يشاء،حتى في اعتناق العقيدة قال تعالى **« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.»** (٥)

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٣٢ .

(٢) سورة القصص ، آية ٧٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٤ .

(٤) محمد رشاد ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دراسة مقارنة ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٨٧، ط× ص ١٠٣.

(٥) سورة الكهف ، آية ٢٩ .

ويقول « **بل الإنسان على نفسه بصيرة .**» (١) وقد عبر عن الحرية أصدق تعبير ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنه بقوله لولد عمرو بن العاص في القصة المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .» .

إن حرية الإنسان المسلم هي من أثمن ما جاء به الإسلام ، فالتوحيد قرين الحرية وكلمة التوحيد هي إعلان عن ميلاد الإنسان الحر في هذا الكون الذي يسجد لله وحده ويخشاه ، وعلى هذا فالاستبداد والتسلط يصبح قرين الشرك لإنه يُحوّل الناس إلى قطيع من العبيد بعضهم يشرع والبعض الآخر ينفذ ويطيع دونما نقاش أو تساؤل ، ومع وجود هذه الحرية فإن المولى عزوجل لعلمه وإدراكه لنفس هذا الإنسان وضعفه ، وأنه قد يستغل هذه الحرية للإضرار بالآخرين والاعتداء على حقوقهم فقد وضع لذلك تشريعات وقوانين تنظم حياة الناس .

وكما يقول أحد الباحثين عن الإنسان « سيظل الإنسان ـ وإن صعد إلى القمر أو ارتقى إلى المريخ ـ في حاجة إلى قواعد ربانية تضبط مسيرته وتحكم علاقته ، تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وتحل له الطيبات وتحرم عليه الخبائث ... وسيظل بحاجة إلى تحريم الربا والخمر والميسر وتحريم الزنا والشذوذ وتحريم السرقة والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل وتحريم الظلم بكل صوره وأنواعه ... سيظل الإنسان بحاجة إلى رادع يردعه ، إن هو تعدى حدود الله وعدا على حقوق الناس في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم » (٢) .

وهذا يعني أن القيود أو الضوابط التي وضعت على حرية الإنسان هي في الواقع لصالحه أولاً، وصالح مجتمعه ثانياً فالتشريعات ما هي إلا وسيلة من وسائل ضبط العلاقة بين الناس بعضهم بعضا لا لتَقْيد حرياتهم أو تصرفاتهم ، ولا يعقل أن يترك الإنسان دونما نظم أو تشريعات ، وهذا ما أدركته أيضاً الدول التي تحكم بالقوانين الوضعية فقد شرعت وسنت قوانين ونظمْ تنظم بها حياة الناس وتحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتضع العقوبات والجزاءات ، ولكن شتان بين تشريع الله وتشريع البشر .

٣) إن الإنسان في الإسلام صاحب ضمير خلقي واع والخير مزروع في نفسه ، ويحاول دائماً تذكير نفسه بأهداف الحياة العليا وبأن الإنسان ينبغي ألا يعيش لنفسه فقط وتستعبده شهواته كالحيوان .

ولذا اهتم الإسلام اهتماماً واضحاً بتربية الضمير منذ الطفولة ، فدعا إلى تهذيب النفس والارتفاع بمشاعرها على أساس من التقوى والورع ، ودعا إلى أن يكون الوالدان والمجتمع قدوة لهذا الطفل منذ صغره حتى ينشأ وقد تعلم فضائل الأخلاق ومكارمها،من خلال المشاهدة العملية لمن حوله ، وهذا يقتضي من أفراد المجتمع عدم الكذب والغش والنفاق وغيرها من الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى خلل كبير في ضمير الناشئة،لأن ضمير المسلم هو الدافع والمانع له من أن يعتدي على حق من حقوق الآخرين،أو يعمل على إيذائهم والانتقاص منهم ، لذا جعل الإسلام الكثير من عباداته تعتمد على الضمير ويقظته كالصوم والوضوء والزكاة،فهذه أمور يستطيع أي إنسان أن يتظاهر بها وهي غير موجودة فيه،ولكن مع وجود الضمير والرقابة الذاتية والخلق المتصف بالربانية والخوف من الله تجعل المسلم يؤدي هذه الفرائض بإتقان وشعور بالمسؤولية أمام الله ، ويظهر الفرق واضحاً بين من يؤدي

---

(١) سورة القيامة ، آية ١٤ .

(٢) يوسف القرضاوي ، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣، ط ١ ، ص ٢١٥ .

عملاً ويتقنه مراعياً في ذلك ربه وضميره وبين من يعمل عملاً تحت رقابة مسؤول أو رئيس فالفرق واضح ، ففي الحالة الأولى نجد أن الإتقان في العمل موجود وإن غاب الرقيب البشري ، لإن الرقابة الذاتية موجودة وتدفعه للإحسان في العمل وفي الحالة الثانية الرقيب المادي موجود ولكن الضمير غائب ، فإذا غاب الأول فسد العمل ، يقول أحد الباحثين في هذا الموضوع قولاً بليغاً « وَيكِلْ الإسلام إلى الضمير بعد تربيته وتهذيبه تنفيذ الشرائع والتوجيهات جميعاً ، ولايكل ذلك إلى القانون (إلا في الحالات الشاذة) لأن القانون يمنع من الخارج ولكن دراية الإسلام بالنفس الإنسانية تجعله يدرك أن الامتناع من الداخل بتأثير الوازع اليقظ موجود مع الإنسان في أعماق نفسه ومطلع على دقائقه وخفاياه . أما القانون في الخارج فأدواته محدودة وكذا علمه ... وليس معنى هذا أن الناس في ظل الإسلام يصبحون ملائكة مطهرين ... وإنما يمكن القول إنهم في ظل الإسلام الحق يصبحون أنظف مما يستطيعون أن يصلوا إليه في ظل أي نظام على وجه الأرض » (١) .

٤) الإنسان في ظل الإسلام متوازن في كل أعماله وتصرفاته :

وقد سبق القول إن الإنسان يتكون من جسم وروح وعقل ولكل مكون منها حاجات ومطالب يجب إشباعها بطريقة متوازنة ، بحيث لا يغلب جانب على آخر ، فالتوازن والتوسط في كل مجالات الحياة مطلب شرعي ، حتى بالنسبة للأكل والشرب مطلوب فيه الاعتدال والتوسط .

وبهذا فالإسلام يرفض الغلو والتطرف بكل أشكاله ، فيرفض من يعتبر أن الدين من الأمور الكمالية التي يمكن الاستغناء عنها ، أو استبداله بنظريات وقوانين أخرى ، أو يأخذ منه ما يعجبه ، ويترك مالا يعجبه في نظره ، ويعبد الله ساعة ويعصيه شهراً،فهذا أمر مرفوض فالإسلام لا يقبل أنصاف الحلول .

وكذلك يرفض الإسلام من يعتبر أن الدين يعني الانقطاع عن الدنيا والاشتغال بأمورها بقصد السعي إلى الآخرة والجلوس في المساجد وعدم الخوض في أمور الدنيا ، والأدلة كثيرة في هذا المجال سواء من القرآن أو السنة أو أفعال الصحابة وأقوالهم،والممارسة العملية أكبر دليل على رفض الإسلام الانقطاع عن الدنيا بقصد السعي إلى الآخرة ، والمسلم عندما يعمل أي عمل ويقصد به وجه الله يكون في عباده ، فالعامل الذي يعمل على إعمار الأرض بأي شكل سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو طلب العلم بأنواعه المختلفة هو من باب تعمير الأرض،وتحقيق جزء من مطالب الإنسان ورغباته والاتجاه به نحو التوازن الذي يرتضيه الإسلام ، والذي لا يقتضي أن يصل الإنسان في ظل هذا التوازن إلى الحد الذي يقتل فيه النوازع الفطرية أو يصرفه عنها نهائياً ، لأن ذلك يخل بنظرية الإسلام العامة للتوازن المتضمنة أن يعطي كل ذي حق حقه ، فالعبادة لها جزء معلوم ومحدد من وقته وحياته والعمل له كذلك ، والجسد له مثل ذلك ، وبهذا يحقق الإنسان مبدأ التوازن والوسطية التي حث عليها الإسلام وأمر بها .

٥) من طباع الإنسان في الإسلام الأخوة والتعاون :

وفي هذه الخاصية يقول المولى عزوجل **« إنما المؤمنون إخوة.»** (٢) ويقول عليه السلام « المؤمن

---

(١) محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(١) والأدلة كثيرة سواء من القرآن أو السنة ، وكذا الممارسة العملية لمبدأ الأخوة والتعاون ، وظهر ذلك جلياً في المدينة المنورة عندما وصل المهاجرون من مكة تاركين كل ما يملكون،فاستقبلهم إخوتهم في العقيدة بالترحاب والحب وقدموا لهم كل عون ومساعدة، والأخوة في الإسلام تتعدى أخوة النسب أو اللون أو العرق فكل الناس أخوة متحابون في ظل العقيدة الواحدة ، وذلك كله على أساس من الإنسانية واشتراك الناس جميعا فيها بنسبة واحدة « الناس سواسية كأسنان المشط » وبهذا لا يجوز لأي فرد مهما كان أن يعتدي على آخر بسبب لونه أو جنسه أو عقيدته ، وبمبدأ الأخوة أعطى الإسلام للإنسان قيمته وكرامته التي أهدرتها الحضارة الغربية اليوم والتي لا تراعي حقوق الآخرين ما داموا لا يحملون نفس المبدأ أو العقيدة والدليل ما يمارسونه من عنصرية بغيضة بسبب اللون أو الجنس أو الدين،والواقع خير شاهد على ما يجري في أنحاء كثيرة من العالم لا يتسع المجال لذكرها وسردها ، ومن هنا فالمطلوب من المسلم لكي يحقق مبدأ الأخوة والتعاون أن يعمل على تقوية الروابط بينه وبين إخوته في العقيدة وبينه وبين أبناء الإنسانية كلها ، وعليه أن يظهر الاحترام للآخرين وألا يسفه آراءهم وينتقص من حقهم مهما كانت الدواعي والأسباب، فبلال الحبشي خير من أبي جهل وسلمان الفارسي أفضل من أبي لهب رغم قرابتهم النسبية من الرسول عليه السلام .

كذلك يكون التعامل مع غير المسلمين يكون بالرفق واللين والكلمة الطيبة والقدوة الحسنة، ومساعدتهم في حالة احتياجهم للمساعدة،وفعل الصحابة في هذا واضح وكثير ولأن المعاملة الطيبة قد تؤدي بهم إلى الإسلام .

٦) الإنسان في الإسلام مستخلف في هذه الأرض :

قال تعالى مخاطباً الملائكة **« إني جاعل في الأرض خليفة.»** (٢) فهذه الآية توضح أن الإنسان مستخلف من قبل الله في الأرض على عهد الله وشرطه،ومطلوب منه أن يكون قوة فاعلة إيجابية في هذه الأرض ليقوم بواجب الخلافة على أحسن وجه ، وهذا يعني أن صفة السلبية لابد أن تنتفي عنه لأنها لا تتفق وخاصية الخلافة ، ومن أجل تحقيق هذا المبدأ فقد سخر المولى للإنسان كل الأسباب الكونية والمادية ليقوم بهذا الواجب ، وأعطاه العقل ليستطيع من خلاله معرفة ما يضره وينفعه ، ودعاه إلى المحافظة على بقائه بكل الصور المتاحة والمشروعة ، ومن أجل تحقيق مبدأ الخلافة على أكمل وجه فقد أرسل المولى للبشر الرسل والأنبياء ليقوموا بدعوتهم إلى تحقيق مبدأ الخلافة في الأرض وفق ما شرع المولى ، وختم المولى ذلك بالنبي محمد عليه السلام الذي كان خير خليفة على وجه الأرض ، وبتحقيق هذا المبدأ وفق منهج الله وشرعه تستمر الحياة ويقوم الإنسان بواجب الخلافة في الأرض والحفاظ عليها .

---

(١) محي الدين أبي زكريا بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تحقيق عبدالله أبو زينة ، بيروت ، دار القلم ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، د.ت ، ط× ، ص ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

٧) الإنسان في الإسلام عامل نشط :

وهذا يقتضي أنه يرفض كل أنواع السلبية سواء كانت في القول أو العمل ، ففي مجال القول لا يمل من قول الحق والسعي له مهما كان ويعمل على نشر الخير والحق والعدل بين الناس .

وفي مجال العمل فهو يسعى إلى كسب رزقه من عمل يده ، ليكفي نفسه ومن يعول مقتديا بذلك بأفعال الرسل والأنبياء عليهم السلام ، فقد كان أغلبهم يعمل بيده ويكسب قوته من عمل يده ، وبهذا فالمسلم يرفض أن يكون عالة في قوته ورزقه على غيره،خاصة وأن دينه أباح له العمل في مجالات كثيرة ، فما عدا العمل في الأمور المحرمة شرعاً يجوز للفرد أن يعمل في أي عمل ابتداء من صنع الخبز وانتهاء بصنع الطائرة ، فكل عمل مباح مطلوب من الإنسان إتقانه ، بل هناك أعمال يجب على المسلمين تعلمها حتى لا يظلوا عالة على الغير ، ومما يؤسف له أن المجتمعات الإسلامية تملك كل أسباب القوة البشرية والمادية ومع ذلك لم تستطع بعد أن تستقل في غذائها فكيف تستقل باتخاذ القرار ، فأصبح يتحكم بها الأعداء فيعطون هذه الأمة ما يشاءون ويمنعون عنها ما يشاءون ، وكما يقال إن الأمة التي لا تملك قوتها لا تملك قرارها .

ثانياً : الإسلام والكـون : ـ

يعلل الملحدون نشوء الكون ووجود الحياة بما فيها من آيات ودلائل ومعجزات بتعليلات فاسدة ومع ذلك يطلقون عليها بأنها تعليلات قائمة على المنهج العلمي،وظهرت نظريات عدة تفسر خلق الكون وسر وجوده منها نظرية التولد الذاتي ونظرية التطور ، ونظرية المصادفة،وغير ذلك من النظريات التي أثبت العلم والواقع بطلانها ، أما بالنسبة للتصور الإسلامي للكون فهو كما قرره المنهج القرآني «مخلوق حادث ، وليس بالقديم الأزلي كما أنه لم ينشأ من ذات نفسه ، لقد خلقه الله خلقاً وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن سواء في ذلك مادة بنائه الأساسية أو الصورة التي ظهرت فيها ، ولم يشارك الله سبحانه ـ أحد في خلق هذا الكون ، ولا في خلق شيء منه ، سواء في ذلك مادته أو صورته ، إن الله هو الذي أعطى كل شيء خلقه، وأعطى كل شيء صورته وأعطى كل شيء وظيفته.» (١) قال تعالى **«خلق السموات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون.»** (٢)

ولمزيد من الإيضاح يمكن تقسيم الكون إلى قسمين (٣) هما : ـ

١) كون مادي محسوس .

٢) كون مغيب أو غير محسوس .

فالكون المادي : ـ يشتمل على الكثير من الظواهر منها الشمس والقمر والسماء والبحار والجبال والحيوانات والأرض ، والليل والنهار ، والموت والحياة وغيرها من المعجزات الظاهرة التي تدل على قدرة الخالق وبديع صنعه،وقد تحدث القرآن عن هذه الظواهر في بدء خلقها ليبين من خلالها دلائل

---

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٢.

(٢) سورة النحل ، آية ٣ .

(٣) علي أحمد مدكور ، منهج التربية أساسياته ومكوناته ، مرجع سابق ، ص ٣٢ وما بعدها .

قدرة الله وبديع صنعه الدقيق الحكيم ، والآيات القرآنية في هذا كثيرة منها قوله تعالى « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** » (١) .

وقال تعالى « **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون.**» (٢)

ونظراً لما للكون المادي من أهمية في إظهار قدرة الله،كان لزاماً على المؤسسات التعليمية والتربوية أن تتناول هذا الجانب بشيء من التفصيل عن طريق الملاحظة والتجريب وبيان قدرة الصانع والموجد،لكل هذه الظواهر المادية وإدخال ذلك في المواد العلمية كالأحياء والجولوجيا والكيمياء وغيرها من العلوم،والتي يحاول البعض من خلالها تغييب المنهج الإسلامي في هذا الجانب ، فتُطرح خالية من أية إشارة إلى المعجزات الإلهية وربطها بخالقها ، بل قد تربط أحياناً بعالم آخر أو بقوى خفية غير الله عزوجل .

أما الكون المغيب أو غير المحسوس : ـ

وهو ما يسمى بعلم الغيب فله عالمه الخاص المشتمل على مكونات كثيرة لا يعلمها إلا الله منها : الملائكة ، الجن ، العرش ، اللوح المحفوظ ، الروح .

فالروح مكون هام من مكونات الإنسان وإن كان لايرى ولا يلمس ولكنه حقيقة يشعر به كل ذي بصيرة قال تعالى « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**»(٣)

والملائكة هم خلق كريم طيب خلقهم المولى لعبادته وطاعته،ومنهم من يختص بالسحاب ومنهم من يختص بالإنسان لحفظه وحفظ أعماله ، ومنهم سفراء الله إلى رسوله ، ومنهم من يعمل خزنة للجنة والنار ، والإيمان بهم يقتضي الإيمان بوجودهم وبصفاتهم وأسمائهم .

أما عالم الجن : فهم عالم مفكر حي عاقل يؤدون نفس المهمة التي يؤديها الإنسان،وهي العبادة قال تعالى «**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون.**» (٤) ومنهم الصالحون ومنهم غير ذلك وسميت سورة من سور القرآن باسمهم وهكذا نجد أن عالم الغيب له عالمه الخاص الذي لايعلمه إلا الله .

وظهرت فئة من الماديين والملحدين يحاولون إنكار هذه الحقائق ويعتبرون أنها تناقض العقل والمنطق، ولو تفكر هؤلاء في أنفسهم وفي الكون من حولهم وفي بعض الأحداث التي تقع ولا يمكن أن تفسر مالم يصدق المرء بوجود عالم آخر مغيب ، والمكذبون بوجودهم يحتارون في تعليل تلك الأحداث ، لو تفكر هؤلاء بكل ما سبق لوجدوا أن هذا يكفي ليدل على الإيمان بوجود عالم آخر لانعلمه نحن البشر نتيجة قصور عقولنا المحدودة .

وإن العلم الحديث بكل ما فيه من تقنيات وأساليب متطورة يقود إلى الإيمان بعالم الغيب ، فنظرة إلى الأجرام السماوية ونظامها المدهش الدقيق وطرقها ومداراتها وجاذبيتها وطوفان أنوارها المذهلة ،

(١) سورة يس ، آيات ٣٧ ـ ٤٠ .

(٢) سورة الرعد ، آية ٢ .

(٣) سورة الإسراء، آية ٨٥ .

(٤) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

وإلى علم الأحياء والجولوجيا والنبات وما فيهما من عجائب ومعجزات ودلائل تدل على قدرة الله وإبداعه كل هذا يقود للإيمان ، وهناك من العلماء الغربيين من اعترف بهذا يقول السيد (جيمس جنز) العالم الفلكي البريطاني الشهير عندما سئل لماذا يذهب إلى الكنيسة فقال « عندما ألقي نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي وعندما أركع أمام الله وأقول له إنك عظيم أجد أن كلّ جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء وأشعر بسعادة وسكون عظيمين ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة ... ومن أجل هذا أذهب إلى الكنيسة.» (١)

وهذا العالم المغيب يحتاج أيضاً إلى عناية وتوضيح من المؤسسات التربوية والتعليمية كما يحتاج العالم المادي المحسوس إلى ذلك ، خاصة في مراحل التعليم الأولى حيث يأتي التلميذ ولديه الكثير من التساؤلات عن عالم الغيب فواجب تلك المؤسسات تدعيم الجوانب الإيجابية التي يأتي بها التلميذ للمدرسة من خلال اكتسابه لها في المنزل أو الشارع أو المسجد ، كما يجب عليها أيضاً تقويم الفكر الخاطئ عن هذا العالم ، الذي ضل فيه كثير من البشر ضلالاً كبيراً ، ولكن نقول لمن أراد أن يتعلم أو يُعلّم هذا العالم فعليه بالقرآن والسنة ففيهما بيان كاف وشاف حول هذا العالم المغيب والذي لا يمكن أن يُستقىٰ إلا من هذين المصدرين .

ثالثاً : الإسلام والحياة : (٢)

يقوم التصور الإسلامي للحياة على أساس أن هناك حياتين : الحياة الدنيا التي نعيشها وتعيش فيها كل الكائنات الحية وتمارس فيها كل ألوان الأنشطة،التي تؤدي إلى بقاء هذا الكائن واستمراره على وجه الأرض ليقوم بواجب عمارة الأرض وترقية الحياة وفق منهج الله وشرعه .

والحياة بكل ما فيها من إمكانيات مادية أو بشرية ليست بديلاً عن خالقها ومدبرها،وهي أيضاً ليست إلهاً وليست قوة مدبرة في ذاتها تنشأ وتنشئ وفق إرادتها المستقلة ، كذلك ليس لها تلقائية وجدت مصادفة ، وتمضي خبط عشواء ، إنما هي خليقة أنشأها الله بقدر ، وتمضي كذلك وفق قدر .

ويمكن القول إن الحياة بمجملها في التصور الإسلامي تقوم على أسس عدة لعل من أهمها مايلي: ـ

١) الأساس الأول : إن الأصل في نشأة الكائنات هو الماء قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي.» وقال سبحانه « والله خلق كل دابة من ماء.» ولم يبين المولى بالتفصيل كيف تطورت وتسلسلت هذه الدواب حتى تكونت بالصورة التي نراها ، ولم يوجد تفصيل واضح لكيفية الخلق إلا التفصيل الذي حصل بشأن خلق الإنسان وكيف أوجد الله أبا البشرية آدم وحواء ومما يتكون أصلهما، فهذا حصل فيه تفصيل سواء في القرآن أو السنة وهذا دليل على العناية والتكريم التي أولاها المولى لجنس الإنسان فبين أصله ونشأته وتطوره .

---

(١) محمد سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عمان ، دار النفائس ، ١٩٩٢م ، ط٣ ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر كلاً من : ـ

ـ سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق .

ـ محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام ، مرجع سابق .

ـ علي أحمد مدكور ، منهج التربية أساسياته ومكوناته ، مرجع سابق .

ـ محمد سليمان الأشقر ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، مرجع سابق .

٢) الأساس الثاني : أن الأصل في الحياة النظام فكل الكائنات سواء الإنسان أو الحيوان أو النبات أو النجوم أو الكواكب وسائر المخلوقات لها نظام تسير عليه ، فنظرة إلى دورة الشمس والقمر نجدأنهما يسيران وفق نظام معين أودعه الله فيهما،يعجزالإنسان أن يفسر هذا النظام المحكم الدقيق .

وكذلك أفراد المجتمع المسلم لهم نظام يسيرون عليه في كل شؤون حياتهم فالعبادات كلها تؤدى وفق نظام معين وشروط محددة،يقف أمامها الجميع سواسية فلا فرق بين صغير وكبير أو غني وفقير أو رئيس ومرؤوس ، فمثلاً الصلاة تؤدي في وقت واحد وبعدد محدد من الركعات وألفاظ تقال ابتداء من التكبير وإنتهاء بالتسليم ، وكذا الحج والصوم وبقية العبادات والمعاملات ، وهكذا فالإسلام أسّس للمسلمين نظاماً متكاملاً صالحاً لكل زمان ومكان ليس فيه امتيازات أو قداسة لأحد .

٣) الأساس الثالث : إن الأحياء جميعهم قد تكفل الله برزقهم قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.» فالأقوات مقدرة وموجودة في بنية الكون كله ، تكفي لكل المخلوقات وإن نظرة للإنسان الفقير والطير في السماء والحيوان الضعيف والتفكر كيف يحصل هؤلاء على رزقهم تجعل الإنسان العاقل يدرك أن الرزق بيد الله،وأنه رازق لكل كائن حي مهما كان ضعفه وعجزه، وما على هذا الكائن إلا بذل السبب ليحصل على ما يريد ، وإذا حصل خلل ما هنا أو هناك إنما هو بسبب فعل الناس،وتدخلهم لتغيير النظم والقوانين التي أنزلها الله لتسير الأمور وفق شرعه وتقديره للأمور « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (١) .

٤) الأساس الرابع : إن الحياة تقوم على قاعدة الزوجية والتي تشمل الأحياء والأشياء كلها قال تعالى « **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون.**»(٢) إن حكمة الله اقتضت أن تستمر هذه الحياة حتى يأذن الله بزوالها وهذه الاستمرارية تقتضي تجددها وتكاثرها عن طريق الزوجية فكل كائن حي فيه الذكر والأنثى يتم من خلالهما البقاء والتكاثر حتى تستمر الحياة إلى ما شاء الله .

٥) الأساس الخامس : إن الحياة لكي تستمر لابد من عقيدة يستند إليها الجنس البشري فالمتأمل في تاريخ الشعوب والأمم يجد أنه لابد لها من عقيدة تستند إليها وترجع إليها في حالات كثيرة، فوجد من الأمم من يعتبر الشمس والقمر والكواكب وغيرها آلهةً يُعبد من دون الله ، إلى جانب أصحاب التصورات الوثنية واللاهوتيه والأساطير،كل هؤلاء جميعاً حرفوا العقائد وعبدوا غير الله .

والألوهية في التصور الإسلامي لها أثر إيجابي في الحياة،خاصة في ضمائر المؤمنين وعقولهم وفي واقع حياتهم العملية ، والحياة لا تستقيم بغير هذه الحقيقة والضمير البشري لا يستقيم بغير هذه الحقيقة ، وعبر أحد المفكرين عن الألوهية ودورها في مجريات الحياة بشكل عام بقوله « إن الألوهية تتجلى بصفة خاصة في المعركة بين الحق والباطل بين الأمة المسلمة والجاهلية ، على مدار القرون والأجيال تدير المعركة وتقدر العاقبة ، وتدبر الأمر كله من البدء للنهاية ، حتى الأحداث التي يبدو أن لها أسباباً ظاهرة ، ينحي المنهج القرآني هذه الأسباب الظاهرة ليبرز من ورائها المشيئة المدبرة والقدر النافذ ، والألوهية ذات المشيئة المدبرة وذات القدر النافذ من وراء الأسباب الظاهرة،وإن الألوهية تظهر أحداثها في الحياة الإنسانية بشكل عام في نشأة الأمم وإندثارها وفق سنة الله ، بمقتضى قدر الله ،

---

(١) سورة الملك ، آية ١٤ .

(٢) سورة الذاريات ، آية ٤٩ .

وفي التمكين في الأرض والتدمير ، وفي سعة الملك ونقصه ومنحه وسلبه ، وفي بسط الرزق وتقديره وفي منح الأجل وتقديره ، حيث يتجلى التقدير الإلهي والتدبيرفي النشأة والدثور،وفي المبدأ والمصير وفي تقلب الأمور»(١).

٦) الأساس السادس : لابد لاستمرارية الحياة من نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي لتسيير أمور البشر .

وهذا الأساس يعتبر من أهم الأسس التي تعتمد عليه الأمم والجماعات لتسيير أمورها المعيشية والسياسية بشكل عام ، فلا يمكن أن يعيش مجتمع دونما نظام اقتصادي يضبط له الجوانب المالية ، ويحقق من خلال هذا النظام الرخاء المعيشي المتمثل في حسن المسكن والمأكل والمشرب وكل مقتضيات الحياة ، وكذلك النظام السياسي فلا يمكن أن يحيا مجتمع دونما وجود حكومة ترعى مصالحه وتحفظ حقوقه السياسية وتحقق له العدل والمساواة والحرية التي ينشدها كل فرد ، كل ذلك وفق نظام فريد متكامل يعتمد على الترابط والوحدة ، وهذا حاصل في الإسلام الذي يقدم الأمور الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بصورة تناسب البيئات والمجتمعات المختلفة ، رغم اختلاف المكان والزمان والأفراد والبيئات قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (٢) وقال سبحانه وتعالى « **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء.**» (٣)

٧) الأساس السابع : وهذا الأساس يمكن أن يتضمن عدة أسس يمكن تناولها فيما يلي : ـ

أ ـ العمل وأهمية الإحسان فيه .

ب ـ الوحدة في القول والعمل .

جـ ـ العلم .

د ـ الحرية والعدل والشورى .

هـ ـ الجهاد في سبيل الله .

وفيما يلي عرض موجز لتلك الأسس : ـ

١ـ العمل وأهمية الإحسان فيه : وتظهر أهمية هذا الأساس كون الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولتحقيق هذا المبدأ لابد للإنسان من وسائل يستطيع من خلالها تحقيق مقتضيات هذه الخلافة ، وتظهر قيمة العمل في استخراج الكنوز والخيرات التي أودعها الله في باطن الأرض،ليستفيد الإنسان منها في تعمير الأرض وفق ما شرعه الله،ومن أجل محاربة الفقر والبطالة ، ومن هنا فالإسلام يحرص على أن توفر الدولة العمل لكل فرد يستطيع أن يعمل وتعمل على تدريبه وإعداده للعمل في كافة القطاعات من أجل الاعتماد على النفس والاستغناء عن الخبرات والعمالة الأجنبية التي تستنزف كل إمكانيات الأمة وخيراتها ، ومما يلزم العمل ويقتضيه الإحسان فيه وإتقانه ، وجعل أدائه فريضة وواجب يؤجر عليه الإنسان إذا قصد به وجه الله ، والكسب الحلال ونفع الأمة ، وسد حاجة من يعول ، والابتعاد عن الغش والكذب في كل مجالات العمل قال عليه السلام (إنّ الله

---

(١) سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠.

(٢) سورة الأنعام ، آية ٣٨.

(٣) سورة النحل ، آية ٨٩.

يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رواه السته ، إلى جانب أن الإسلام يحرم العمل في كل ما يضر بصحة الإنسان أو الحيوان أو النبات ، خاصة في هذا العصر الذي كثر فيه الخبث ، فدخل الغش والتزوير حتى فيما يقدم للإنسان على شكل غذاء وشراب ومركب وملبس فأصبحت المجتمعات تعاني اليوم من ما يسمى بالغش التجاري ، ولكن لو وجدت القيم والمبادئ التي أمر بها الإسلام لا يمكن أن يحدث هذا التزييف والتدليس الذي ضر بالشعوب صحياً ومالياً واجتماعياً .

٢ـ الوحدة في القول والعمل : الأصل أن الأمة الإسلامية أمة واحدة يقول سبحانه « **إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون .**» (١)

فهذه الأمة لها رب واحد وعقيدة واحدة ونبي خاتم ، ودستور صالح لكل زمان ومكان ، والمتتبع لتاريخ هذه الأمة يجد أنها استمرت بشكلها الموحد لفترات طويلة يحكمها خليفة واحد يعين الولاة والأمراء على كل الأمصار ، ثم جاءت فترات استطاع فيها الأعداء تفريق شمل الأمة وبذروا نار الفرقة بين أبنائها فقامت دول عدة ، واستقل كل أمير بإمارته حتى وصل ببعضهم العداء إلى درجة الاستعانة بالأعداء في محاربة بعضهم البعض كما حصل في الأندلس وشمال افريقيا وحرب الخليج ، وهكذا استمر هذا التشتت وهذا العداء حتى وقتنا الحاضر وبنفس الأسلوب والطريقة حتى تفرق العالم الإسلامي اليوم ، وأصبحت دوله كثيرة وشعوبه متنافرة متخاذلة ، رغم أن الأصل في هذا العكس تماماً ، فالله قد وحد هذه الأمة في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها ودستورها ، ولم تكن الأمة قائمة في يوم من أيامها على قاعدة من قواعد الوطن أو الجنس أو اللون ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها، ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها ، إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان ، فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب ، ومنهج الفكر ، وقبلة العبادة . (٢)

٣) العلم : يحث الإسلام على العلم والتزود منه في مختلف العلوم ، ولايقتصر على ما يسمى بالعلم الشرعي فقط ، بل المطلوب من المسلمين أن يتعلموا كل أنواع العلوم المفيدة ابتداء من التعليم لكيفية أداء العبادات وانتهاء بتعلم كيفية صناعة الطائرات ، فالتعليم أياً كان يسهم في تشكيل الشخصية المسلمة بشكل يتناسب والمهام المطلوبة منها،في القيام بواجب الخلافة في الأرض وتعميرها، ويساعدالتعليم أيضاً الفرد على اكتساب مهارات وخبرات جديدة تؤدي به إلى إنجاز العمل وأدائه بشكل أفضل ، كما أن التعليم يكسب الفرد الثقة بالنفس والاعتماد عليها ، كما يجعله عابداً لله على بصيرة ومعرفة ، وما أضر الأمة إلا جهلها بعقيدتها ودينها الذي هو دين العلم والعمل والعبادة، ولا غرابة أن نقول إن الإسلام هو دين العلم كيف لايكون ذلك وأول ما نزل من القرآن قوله سبحانه « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .» (٣)

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٩٢ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، بيروت ، دار الشروق ، المجلد الأول ، جزء ٢ ، ط١٠ ، ١٩٨٣ ،ص١٣٤.

(٣) سورة العلق ، الآيات من ١ ـ ٥ .

٤) الحرية والشورى والعدل : من الضرورة أن يدرك الفرد المسلم أن الحرية ضرورة من ضرورات الحياة ، وليست منحة يمنحها الحاكم أو النظام السياسي متى شاء ويمنعها متى شاء والإنسان حر مادام هومسؤول فالحرية تتبع المسؤولية ، المسؤولية تستلزم الحرية ، فنشاط المسلم كله حر ، وهو كله عبادة لله ، والحرية لها مظاهر عدة منها حرية العقيدة ، وحرية التملك والتصرف وحرية العمل والكسب المشروع ، وحرية التفكير والاختيار ، ويمكن القول إن الحياة لا تستقيم أو تستقر دون حرية فالحرية هي جزء من كيان الإنسان ووجوده فمتى فقدها فقد جزءاً كبيراً من حقه في الحياة .

كما يعتبر مبدأ الشورى من أهم المبادئ الشرعية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام والأدلة كثيرة في هذا قال تعالى « **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر .**» (١)

وسميت سورة في القرآن باسم الشورى ، والرسول عليه السلام والصحابة من بعده مارسوا هذا المبدأ ممارسة عملية وواقعية فشاور الرسول عليه السلام الصحابة في أمور السلم والحرب ، وكذلك فعل الخلفاء من بعده وقد جاء لفظ الشورى عاماً وتركت كيفية الممارسة وتفاصيلها للمجتمع يحددها بالطريقة التي تناسب الزمان والمكان ، وبحسب ما يراه مناسباً ومفيداً له ، ويمكن اعتبار النظام النيابي والبرلماني المعروف اليوم هو أحد الصيغ لممارسة نظام الشورى ، ولمبدأ الشورى فوائد كثيرة يمكن ذكر بعضها فيما يلي: ـ

ـ إنها تحقق مصالح الأمة الرئيسية التي تحتاج إلى تبادل الآراء والمشورة .

ـ إنها تجعل الحاكم مرتبطاً دائماً بقضايا الأمة ومشاكلها،من خلال ما يعرض عليه من أهل الشورى .

ـ فيها تكريم لأهل الخبرة نظراً لأن الحاكم يأخذ برأيهم ويشاورهم .

ـ حماية للمجتمع من الفتن والفرقة ، وجمعهم على كلمة سواء .

مع العلم أن نظام الشورى يختلف عن ديمقراطية الغرب أو الشرق التي تأخذ برأي الأغلبية)حتى وإن كانوا على ضلال وخطأ .

ولا تستطيع أمة أن تحقق بغيتها في كل مجالات الحياة إذا لم تلتزم بالعدل وتجعله نصب عينها ، وهو مبدأ هام من مبادئ نظام الحكم في الإسلام ، وبتحقيقه في المجتمع يسود الوئام والإخاء والحب بين كل الأفراد ، وبتحقيقه يشعر كل فرد في المجتمع أن حقه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقضائي مضمون مادام العدل يقام على الجميع ، وبغياب العدل يتحول المجتمع إلى غابة يتحكم القوي بالضعيف والغني بالفقير ، وبإقامة العدل تقوم الحياة وتستمر وفق منهج الله وهديه بعيداً عن الظلم والفوضى وهضم حقوق الآخرين .

٥) الجهاد في سبيل الله :

من الحقائق المسلمة أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف ، كما يقول البعض وليس أدل على ذلك من أن الذين آمنوا بالرسول عليه السلام في بداية دعوته لم يكن إسلامهم نتيجة لخوفهم من قوته عليه السلام،لأنه لم يكن يملك أسباب القوة المادية فلا سلاح ولا جيش ولاحماية من أحد ، بل إن من آمن به تعرض للإيذاء والتعذيب والشواهد في هذا أكثر من أن تحصى أو تعد .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

ورغم تعرض الدعوة الإسلامية لمخاطر كثيرة،خاصة في بدايتها نجد أن الإسلام لا يدعو إلى القتال ابتداء وإنما جعله في المرتبة الثالثة فأولاً مطلوب من غير المسلمين الإسلام ، وإذا لم يرغبوا في ذلك عليهم دفع الجزية وهي مقابل ما يدفعه المسلم من زكاة وتبرع يذهب لبيت المال لتستعين به الدولة على أمورها ويظلوا تحت حماية المسلمين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وإذا رفضوا دفع الجزية تأتي المرحلة الثالثة وهي الجهاد في سبيل الله.

وينبغي الإشارة إلى أنه لا توجد آية واحدة في القرآن تشير من قريب أو بعيد إلى أن القتال قد شرع لحمل الناس على قبول الدين ، بل إن الآيات التي تحدثت عن القتال حصرت أسبابه وبواعثه في رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.(١)

ويمكن القول إن الجهاد في الإسلام شرع لتحقيق مقاصد وغايات عدة منها: ـ

ـ جهاد النفس الأمارة بالسوء والهوى والعادات المنحرفة الوافدة .

ـ الجهاد من أجل الحفاظ على المقومات الخمسة « الدين ، النفس ، العرض ، العقل ، والمال » .

ـ الجهاد من أجل الحفاظ على خاتم الرسالات رسالة محمد عليه السلام .

ـ الجهاد من أجل الحفاظ والدفاع عن الأوطان إذا تعرضت لهجوم من الأعداء .

ـ الجهاد من أجل الدفاع عن المظلومين والمضطهدين من أبناء المسلمين ،الذين يتعرضون للقتل والتعذيب والتشريد وترك الدين.والواقع خير شاهد خاصة في السنوات الأخيرة التي تعرض فيها المسلمون للكثير من الويلات والمحن على يد عناصر حاقدة على الإسلام تريد محوه،وما يحصل في البوسنة والهرسك وفلسطين وغيرها من الدول خير دليل .

وكما يقول أحد الباحثين (٢)عن الغاية من الجهاد « إن القتال لله ، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة ، القتال في سبيل الله لا في سبيل المغانم والمكاسب ، وفي سبيل الأسواق والخامات ولاسبيل لتسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس ، إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام ، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وإقرار منهجه في الحياة ، وحماية للمؤمنين به أن يفتتنوا عن دينهم أو أن يجرفهم الضلال والفساد ، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام ، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام.»

وعلى هذا فالجهاد ليس اعتداء أو قتلا أو إرغاما لإحد على ما لايريده وإنما شرع لضمان استمرار دين الله وشرعه ، والحفاظ عليه ممن يحاول اختزاله أو إلغاءه ، ومع هذا فالجوانب الإنسانية والأخلاقية موجودة حتى في حال القتال فلا يجوز قتل شيخ أو امرأة أو طفل أو هدم كنيسة أو سلب ونهب فهذه تعاليم من صميم الإسلام ، وأما ما تدعيه بعض المجتمعات من حضارة ومدنية فإنها تسقط في حال الممارسة العملية ففي الحروب ترتكب كل المحرمات وتنتهك الأعراف والمواثيق الدولية في سبيل القضاء على الخصم مهما كانت النتائج .

---

(١) انظر كلاً من : ـ

ـ نادية شريف العمري ، أضواء على الثقافة الإسلامية ـ مرجع سابق .

ـ جامعة صنعاء ، الثقافة الإسلامية ، مرجع سابق .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الأول ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٧ .

وبعد الحديث عن الإنسان والكون والحياة يمكن القول إن منهج التربية في الإسلام يوطد العلاقة والترابط بين هذه الكائنات ويعتبر كل كائن مكملاً للآخر،وكما يقول أحد الباحثين (١)«فالله الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الكون والإنسان، والحياة في انسجام كامل فالكون صديق للإنسان إذا عرف نواميسه ، وفي عناصر الكون ما يناسب استمرار الحياة ما شاء الله أن تستمر إذا عرف الإنسان ذلك، وتعلم كيف يكيف بيئته لتناسب هذه الحياة ، فبين الكون والإنسان والحياة صداقة طبيعية وانسجام أصيل.»

ويبقى السؤال الذي يجب أن يطرح وهو ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في إبراز مفهوم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.؟

وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن تحديد الأسس والأدوار التي ينبغي أن تُضمّن ويركز عليها في المناهج التربوية والمقررات الدراسية والأنشطة المختلفة داخل المؤسسات التعليمية والتربوية المختلفة، لإبراز المفاهيم الصحيحة والسليمة عن الإنسان والكون والحياة.وتحديد تلك الأسس فيما يلي : ـ

ـ إبراز المفاهيم الصحيحة عن الألوهية والعبودية في كل مراحل التعليم وبشكل متدرج يتناسب مع طبيعة وخصائص طلبة كل مرحلة من المراحل الدراسية .

ـ التأكيد على نظرة الإسلام للإنسان على أنه مخلوق مكرم على كل المخلوقات وأنه عابد لله في كل أقواله وأفعاله ، وأنه مكون من جسم وعقل وروح وأن كل مكون منها له دور يؤديه ، ويعني هذا أن تتضمن المناهج الدراسية نبذة عن الإنسان من حيث خلقه ودوره في الحياة ، وأنه مكلف بالقيام بواجب الخلافة في الأرض ، ومن الملاحظ أن المناهج في حالة عرضها لشيء عن الإنسان فإنها تعرض جانبه المادي فقط ، وتهمل بقية مكوناته وأيضاً يجب مناقشة الآراء والنظريات التي قيلت في الإنسان وكيف أثبت الواقع عدم صحتها،ويكون هذا في المراحل الثانوية والجامعية لأن الطالب لديه القدرة على المناقشة والتحليل والمقارنة والنقد والحكم على الأشياء.

ـ إبراز شمولية الإسلام لكل نواحي الحياة المختلفة والرد على من يقول بفصل الدين عن الحياة ، وإظهار أن الإسلام يشتمل على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعية ، وأنه ليس مقتصراً على الجانب التعبدي كما يقول البعض ، وهذا يتأتي من خلال إيجاد نوع من التكامل والترابط بين المواد الدراسية المختلفة حتى يتم القضاء على هذا الفصل الغير مبرر بين مواد العلوم التي تقدم معزولة عن أية إشارة لقدرة الخالق وحكمته ودقته في صنع الكون،وبين مواد التربية الدينية التي تؤكد ذلك .

ـ إبراز الجوانب الإنسانية والأخلاقية في الإسلام باعتبارها من الأمور الفريدة التي تميز بها الإسلام ، ويتم ذلك من خلال إظهار حقوق الإنسان وبيان المبادئ المتضمنة للتسامح والسلام مع الآخرين ، وأنه لا مانع من التعاون والتعامل مع غير المسلمين واحترامهم وتقديم العون والمساعدة لهم في حالة احتياجهم لذلك ، وإبراز مبادئ الإسلام في الرأفة بالكائنات الأخرى وأنه حث على رعايتها والاهتمام بها ، والمحافظة على بقائها لتستمر بها الحياة .

---

(١) إسحاق أحمد الفرحان ، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، عمان ، دار الفرقان ، ١٩٨٢م ، ط١ ، ص ١٨ .

ـ مناقشة المذاهب والأفكار والشبه التي تثار حول الإسلام ومناقشتها مناقشة علمية ومنطقية تكون مقنعة لمن يستمع إليها،أو يقرأها حتى تكون سلاحاً للطالب ليدافع بها عن دينه،خاصة من يذهب منهم إلى مجتمعات غير مسلمة أو يعمل مع أفراد غير مسلمين .

ـ التأكيد على أن الإسلام دين علم وعمل ، فهو يحث ابناءه على تعلم العلم النافع سواء الشرعي منه أو العلم الحديث ، ويجب منح المكافآت والجوائز للمتفوقين وإعطاء المساعدة لغير القادرين ، حتى يتسنى لهم مواصلة التعليم ، ويجب دعوة الجميع للتعليم والعمل على محو أمية الأميين لأن التعليم من المبادئ الهامة التي لا تفهم تشريعات الإسلام وأصوله بدونه ، كذلك يجب أن تتضمن المناهج الدراسية الدعوة إلى العمل والترغيب فيه وألا تقلل من شأن المهن المختلفة ، وتعتبر العمل في اي مجال هو عبادة .

ـ يجب أن تُضمّن المناهج الدراسية خاصة التربية الدينية موضوعات تحث على الوسطية والاعتدال في كل جوانب الحياة ، والحث على التعاون والتراحم،مع التأكيد على أن الاختلاف والفرقة يضر بمصالح الفرد والأمة .

ـ يجب أن تتضمن المناهج الدراسية شيئا عن أسرار الكون وعظمته،وقدرة الخالق على تدبير أمور هذا الكون بما فيه من كائنات كثيرة ، وأن يشار إلى ذلك في كل مناسبة تقتضي ذلك كأن يقدم موضوع في العلوم عن الكواكب أو الشمس أو المطر أو عن الإنسان فيجب أن يعرف الطالب شيئا عن مُصرّف هذا الكون ومدبره من خلال كل المواد الدراسية .

ـ يجب التأكيد على أن الحياة في التصور الإسلامي تنقسم إلى قسمين : ـ قسم يتعلق بالحياة الدنيا بما فيها من كائنات حية ، وقسم يتعلق بالحياة الآخرة أو حياة ما بعد الموت،وهذه الحياة لم تعط الاهتمام الكافي في مناهجنا الدراسية سواء مواد التربية الدينية أو في باقي المواد .

ـ يجب الإشارة خاصة لطلبة الجامعات إلى بعض القضايا المعاصرة كقضية الغزو الفكري والثقافي والإعلامي ، وقضايا المرأة والاختلاط وبعض القضايا العلمية ، ويكون ذلك ضمن المقررات الدراسية أو من خلال الأنشطة المختلفة التي تقام داخل الجامعات والمؤسسات التربوية الأخرى .

ـ لابد من الربط بين كل المقررات الدراسية ، حتى يشعر الطالب أنه أمام وحدة متكاملة من المعرفة والثقافة فلا خصومة ولا تناقض بين مواد التربية الدينية وبقية المواد ، وأن ما يقال في التربية الدينية تؤكده بقية المواد وتدعمه.